الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللّغة و الأدب العربي

تخصص:دراسات أدبية.

الرمز والأسطورة في ديوان طاسيليا "لعز الدين ميهوبي".

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي.

إعداد الطالبتين:
- فاطمة همالي
- سعيدة العمري

تحت إشـــراف:
د.بن علية نعيمة

لجنة المناقشة:

- الأستاذ: د. عبد القادر لباشي.....رئيسا
- الأستاذ: د. نعيمة بن علية .....مشرفا ومقررا
- الأستاذ:يحي سعدوني .....عضوا مناقشا

السنة الجامعيـــــة:
2015 -2016

الشكر والعرفان

نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ووافر الاحترام إلى الأستاذة بن علية نعيمة بقبولها الإشراف على المذكرة وعلى كل ما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات قيمة، فأسال الله أن يجزيها عنا خير الجزاء

ومن الواجب علينا في هذا المقام أن نخص بالشكر والعرفان: لجنة المناقشة الموقرة أساتذتي الأجلاء وتحملهم عناء قراءة هذه المذكرة وقبولهم مناقشة هذا العمل.

وفي الأخير يشرفنا أن نقدم هذا العمل لأفراد العائلة.

مقدمة

مقدمة:

إن الرمز والأسطورة جزء لا يتجزأ من الأدب عامة، ذلك أن الأدب من العلوم الإنسانية وأن الأسطورة نشأت للرد على أسئلة الإنسان القديم الذي تعجب مما يحيط به من ظواهر الكون وأسرار الطبيعة، والذي لجأ إلى الأسطورة ليفسر تلك الأمور الغامضة من حياته لإشباع رغبته الباحثة عن الحقائق والتفسيرات، كما أن الرمز جاء من حكايات الإنسان المليئة بالأحداث المثيرة والذي أصبح بعد توضحه، الإشارة والعلامة التي تذكر بشيء غائب، ووظيفته هي إيصال بعض المفاهيم إلى الوجدان بأسلوب خاص أكثر دلالة وأشد تأثيرا.

ومن المعروف أن العلاقة قوية بين الرمز والأسطورة، وذلك أن الفكرة السائدة عن الأساطير هي قصص رمزية لمضامينها وأبعادها، فهي كالشعر أكثر سوقا لعالم الخيال فأهم ما ميز الشعر المعاصر عودته للتراث، إذ نلاحظ استحضار الشخصيات التاريخية والرموز الأسطورية تقريبا في كل القصائد الحديثة.

ومن هنا يمكننا القول إن الأسطورة بطبيعة بواعثها ومكوناتها تقترب من الشعر، بل هي في عموميتها ورموزها رؤى شعرية.

كما تجسد العلاقة بينها وبين الحكايات الشعبية والخرافية والأسطورة الشعرية كذلك ترتبط بالبيئة والطبيعة التي تولد من رحمها فها هي أسطورة "طاسيليا" تروي تعطش سكان الصحراء للماء وبحثهم عنه وفرحهم به، هذا الماء الذي هو العنصر الأساسي في الحياة.

نظرا للأهمية التي حضي كل من الرمز والأسطورة في الشعر المعاصر ولدت فيها بعض التساؤلات من بينها:

- لماذا استلهم الشاعر المعاصر الرمز والأسطورة؟
- لماذا حظي الرمز والأسطورة بكل هذا الاهتمام خاصة في عصر التكنولوجيا؟
- ما هي الأسباب التي جعلت الشعراء المعاصرين يعودون للأساطير القديمة؟

انطلاقا من هذه التساؤلات قمنا بالبحث عن ماهية الرمز والأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر وقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين تطرقنا في الفصل الأول إلى تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرمز ثم تطرقنا إلى نشأته عند الغرب والعرب، كذلك أنواع الرموز، كما خصصنا أيضا في هذا الفصل الجانب التطبيقي، قمنا بدراسة تحليلية لديوان طاسيليا.

أما الفصل الثاني تطرقنا إلى تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للأسطورة عند الغرب والعرب ثم تطرقنا إلى نشأتها وبواعثها الطبيعية وأنواع الأسطورة،كما تطرقنا أيضا في هذا الفصل إلى دراسة تحليلية لديوان "طاسيليا" بحيث قمنا بدراسة الشخصيات في الديوان ووضع ملخص للأسطورة.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى شدة رغبتنا بدراسة الأدب الجزائري وحبنا له أما عن الأسباب الموضوعية لاختيارنا لهذا الموضوع هي:

- توضيح رغبة واهتمام الشعراء الجزائريين بقضايا التراث والأسطورة.
- هذا الديوان الشعري لم تتناوله البحوث الجامعية والدراسات الأكاديمية في الجزائر لهذا وقع الاختيار على مدونة جديدة.

كما اعتمدنا على مراجع مهمة تخدم صلب الموضوع مثل تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر لنسيمة بوصلاح، والأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام لأحمد إسماعيل النعيمي بالإضافة إلى ديوان طاسيليا. أما المنهج المتبع فقد كان منهجا وصفيا تحليليا.

وأخيرا نحمد الله على عونه في إنجازنا لهذا البحث.

الفصل الأول

1-الرمز ودلالته في ديوان طاسيليا

1-مفهوم الرمز

أ - الرمز لغة

ب-الرمز اصطلاحا

2- نشأة الرمز

أ - الرمز في الشعر الغربي

ب - الرمز في الشعر العربي

3- أنواع الرموز

I- الرمز ودلالته في ديوان طاسيليا:

1-1- مفهوم الرمز: قبل الحديث عن الرمز ودلالته في ديوان طاسيليا لابد من تعريفه لغة واصطلاحا.

أ-الرمز لغة: جاء في المعاجم ومعظم دلالات اشتقاقه بأن الرمز يحمل في معناه معنى إيجابيا كالعظمة والأصل ...إلخ.

ورد في لسان العرب « رمز: الرمز: تصويت يلاحقني باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة الشفتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين و والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما بيان يلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين (...) ورمزته المرأة بعينها ترمزه رمزا: غمزته».[1]

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمْ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ رَمْزًا واذْكُرْ ربَّكَ كثيرًا وسَبِّحْ بالعَشِي والإبْكَارْ.»[2]

وربما أطلق الرمز على ما يشير إلى شيء آخر، ويقال لذلك الآخر مرموز إليه جمعه رموز وعليه قول الشاعر:

وقال لي برموز من لواحظه إن العناق حرام قلت في عنقي.[3]

[1]- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، 1997، ص 119.

[2]- سورة آل عمران، الآية 41.

[3]- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر 2003، ص 70.

وكلمة الرمز تعني في اليونانية: قطعة من فخار أو خزف تقدم إلى الزائر وليلا على حسن الضيافة والكرم، والتعارف، وقيل أن تأخذ هذا المعنى الاجتماعي اشتقت من الفعل اليوناني "Jeterensembel" الذي يعني الرمز المشترك أو "وألغي في الوقت نفسه" أي اشتراك شيئين في مجرى واحد بين الرامز والمرموز أو الإشارة والمشار إليه.[1]

كما نجد تعريفا آخر للرمز على أنه ما يدل على شيء غير ذاته أو على شيء مكمل لذاته، أي أنه يمثل أشياء خارجة عنه، ويصورهما شريطة أن تكون هذه الأشياء مرتبطة بالرمز ذاته بطريقة ملائمة بدون تعسف، لكنه يستمد قيمته أو معناه من المجتمع الذي يستخدمه، إذ ليس فيه خصائص ذاتية تحدد بالضرورة ذلك المعنى وتفرضه فرضا على المجتمع، فإذا كان اللون الأسود هو رمز الحداد على الميت في بعض المجتمعات، فإن اللون الأبيض وهو نقيضه، يقوم بالدور نفسه في مجتمعات أخرى مثل الصين.[2]

ب-اصطلاحا:

الرمز وسيلة إيحائية وتصويرية خاصة في النثر والشعر وهي وسيلة قديمة، إلا أن الشاعر الحداثي أو المعاصر أدخلها في تجاربه الشعرية، وهذا من أجل معرفة واكتشاف وسائل لغوية أخرى حديثة وأيضا من أجل إثراء لغة شعره، لأن هذا مرتبط ارتباطا وثيقا بتجربته التي يعيشها

[1]- آمنة بلعلي: الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث (السياب، عبد الصبور، خليل حاوي أدونيس)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1989، ص 04.

[2]- ينظر: محمد ديب شعبو، نقد الفكر الأسطوري والرمز، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة، طرابلس، لبنان، ط1، 206، ص38.

والتي تظهر من خلال شعره. فالرمز الشعري يبدأ من الواقع ليتجاوزه دون أن يلغيه.[1] بمعنى أن الرمز يتجاوز الواقع لكن لا يقوم بإلغائه.

يبين لنا بعض الباحثين من خلال تعريفاتهم أنّ الرمز هو: «شيء حسي يعتبر كإشارة شيء معنوي لا يقع تحت الحواس.»[2]

بمعنى أن الباحثين صنفوا الرمز إلى شيئن شيء حسي والذي يظهر في الإشارة وكل ما يتعلق بالإشارة أصغر، أكبر، إشارة المرور ...إلخ، أما بالنسبة للشيء المعنوي هو الذي لا تدركه الحواس مثلا طاسيليا لها دلالة أعمق.

1-2- نشأة الرمز:

أ -الرمز في الشعر الغربي:

بقي الرمز تابعا لمفهومه القديم حيث كان يقصد به المجاز حتى أوائل القرن 19م. فهذا غوتة يحاول أن يميز بين الرمز والمجاز حيث يقول: «يتميز الرمز عن المجاز من حيث أنه يخفي معنى.»[3] وهذا يعني أن هذا الأخير يرى أن الرمز يشير إلى شيء أو معنى أو قصد خفي غير معروف.

ولما نذهب إلى بود لير نراه ينظر إلى الرمز على أنه «كل ما في الكون رمز، وكل ما يقع في متناول الحواس رمز يستمد قيمته من ملاحظة الفنان لما بين معطيات الحواس المختلفة من

[1]- ينظر : أحمد فتوح الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف القاهرة، ط3، 1984، ص33.

[2]- ينظر: السحمدي بركاتي: الرمز التاريخي ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة العربية وآدابها، فرع: الأدب الجزائري الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، نقلا عن أحمد فتوح، الرمز والرمزية، ص 40.

[3]- آمنة بلعلي: الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث، ص 04.

علاقات.»[1] ومن خلال هذا القول نرى أن كل ما هو موجود في الكون أي ما هو حولنا وكل مار نراه هو رمز يكتشف من خلال الفنان.

ومن أكثر الشعراء تأثرا بالرمزية في الشعر الغربي هو الشاعر "اسكندر بلوك" والذي نحس عند قراءة شعره أنه من أعمق الشعراء إلهاما وأصالة إلى قوة وتنوع في الموسيقى. وتتميز عنده نزعة صوفية تنبؤية تستشعر الغيب وتتحدث عما يحمله المستقبل من ويل واضطراب، ويتمثل ذلك في قوله من خلال قصيدة عنوانها: "صوت من الجوف".

كم نبكي أنا وأنتم

على طرف حياتنا التي تستثير الرثاء

ولكن يا أصدقائي، ليتنا نعرف

برد الأيام القادمة وقتمامتها

ومنها: ...

أنك يا طفلي تنتظر الربيع

لكن لا شيء منه سيحي أعيننا

وتنادي السماء أن تطلع الشمس

ولكن لم تظهر شمس هناك

أنت تبكي ولكن الدموع مثل الحجر

[1]– أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية، ص 112.

تسقط وتموت

استمتعوا بحيواتكم وطرقكم

وإن كانت أركد من الماء أقصر من العشب

أواه لو نعلم ما سيحدث

من برد وقتام في مقبل الأيام.[1]

يتضح لنا من خلال هذا أن الشاعر الغربي "إسكندر بلوك" يتميز بقوة الإلهام والأصالة والتنوع الموسيقي، وهو ذات نزعة صوفية.

ب الرمز في الشعر العربي:

إن الحديث عن الرمز في الشعر العربي الحديث يستدعي العودة إلى منبعه الأصلي في الشعر العربي القديم، غير أن الشعر العربي القديم عرف الرمزية بمفهومها البسيط، أي المجاز بكل ألوانه وأنواعه البيانية كالاستعارة وأيضا التشبيه والكناية التي لم يمسها الغموض إلا قليلا لأن الشاعر العربي القديم أميل إلى الوضوح.

إن أول ملامح التأثر بظاهرة الرمز كانت على يد الشاعر اللبناني "أديب مظهر" الذي اطّلع على مجموعة من الشعر الفرنسي لـ: "ألبير سامان" فقرأها قراءة إعجاب واستيعاب، وظهر

[1]– ينظر: السعدني بركاتي: الرمز التاريخي ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي، نقلا عن إحسان عباس، فن الشعر، ص 67.

جليا أثرها في قصيدة "نشيد السكون" التي نشرت عام 1928م، ثم ما لبث أن اتبعها بطائفة من القصائد المماثلة اعتبرت باكورة هذا الاتجاه في الشعر اللبناني.[1]

نرى هذا الأخير أنه قد تأثر كثيرا بشعر "ألبير سامان" وأعجب به أسما إعجاب.

وإلى جانب الشاعر اللبناني "أديب مظهر" نجد الشاعر "سعيد عقل" والذي لعب دورًا كبيرًا في توضيح المذهب الرمزي، حيث طرح في مقدمة ديوانه والذي جاء تحت عنوان "المجدلية" آراء أكد فيها كثيرا من مبادئ الرمزية الفرنسية، الذي وردت على ألسنة أعلامها، والملاحظ أن آراءه مستمدة من فالبيري والأدب "يريمون" ومن سائر شعراء الرمزية الغربيين.[2]

والملاحظ أن رمزية "سعيد عقل" جاءت تأكيدًا لمبادئ الرمزية الفرنسية التي جاءت على مختلف ألسنة أعلامها.

أول من تكلم عن الرمز بالمعنى الاصطلاحي هو قدامة بن جعفر وذلك في العصر العباسي، حيث يقول في تعريف الرمز: «وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف أسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرف من حروف المعجم، ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولا مفهوما بينهما مرموزا من غيرهما.»[3]

من خلال هذا نفهم أنّه يمكن أن نلمح لشيء معين برمز خاص يفهمه أو يعرفه فقط الشخص المعين أو المراد إخباره، فيفهم ذلك الشخص المعنى مباشرة.

---

[1]– ينظر: محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية الأصول والتجليات، دار غريب، القاهرة، 2007م، ص 128.

[2]– ينظر: نسيب نستاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 476.

[3]– ينظر: درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص44.

أما عبد القاهر الجرجاني فهو يعتبر الكناية والمجاز من أنواع الرمز إذن كثر البديع وكثر في ظله غير المباشرة في التعبير وصار ذلك مذهبا في الشعر عرف به بعض الشعراء غير أن ابن رشيق جاء وأضاف أنواعا أخرى للرمز منها: البديع واللغز، والرحن والوحي (التشبيه) والإيماء والتلويح وغيرهما من الأنواع.[1]

نرى أن عبد القاهر الجرجاني جعل المجاز والكناية نوعا من أنواع الرمز على غرار ابن رشيق الذي أضاف أنواعا أخرى للرمز، إلا أن الرمز في عرف بعض النقاد قد يكون دالا عن معنى بشيء من الثقافية وفي هذه الحالة يكون منطويا على الحقيقي، وقد يكون زائفا، إذ أنه يتضمن «الحقيقي وغير الحقيقي، الواقعي والخيالي، ينطلق من الواقع ليتجاوزه لا يرتبط كمشاكلة ومماثلة، بل كاستنكار له وتحطيم لعلاقته وإعادة تشكيل له عبر حس شعري ورؤية خاصة هو تكثيف لا تحليل، غموض لا وضوح وكشف عن المعنى الباطن والمغزى البعيد وتجريد كي يتواصل في البث الدلالي بحيث لا يتحدد، ولا يتحجر، الرمز هو الشيء الذي لا يمكن استبداله ونشر كل معطياته.»[2]

أما أدونيس أحمد سعيد فيذهب إلى أكثر من هذا، إلى اعتبار الرمز (ما وراء نص)، فكان الرمز لديه هو الرمز الآخر للنص، أو هو النص المحتمل اللامرئي والخفي لذلك يقول: «الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص، فالرمز هو – قبل كل شيء– معنى خفي وإيحاء إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون من وعيك بعد قراءة القصيدة،

[1]– درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، ص 48.

[2]– نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 82.

إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف علما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم واندفاع نحو الجوهر.»[1]

بمعنى أن الرمز يرمي إلى شيء أو رمز آخر خفي أو غير مرئي وهو أيضا نو للشيء المظلم.

ويرى عثمان حشلاف أن الشاعر من خلال الرمز يطلعنا على: «جوهر العلاقة التي تربط بينه وبين العالم الموضوعي أو الحياة من حوله، وهي علاقة يطبعها التوتر والتفاعل والتأثر المتبادل بقصد الوصول إلى الانسجام والتوازن أو تحقيق قدر من المصلحة بين الذات والموضوع.»[2] هذا ما يجعل الشاعر يلجأ إلى الرمز «التي تمكنه من إحداث هذا التواصل وتحديد الصلة بالأشياء والأحياء، بقصد تحقيق الانسجام الذي يتعرض إلى انقطاع وتوتر لسبب من الأسباب.»[3]

ويوضح مصطفى ناصف أن الرامز لا يحتاج إلى عرض منطقي حاجة غير الرامز لأنه يعول على تجربة إنسانية ذات مغزى تلتقط التقاطا مباشرا وتغني عن الارتباط المنطقي بين الأفكار المتتابعة (...) ومهما يكن من شيء فإن الشاعر الرمزي يندمج غالبا مع التداعي الحر يهمل الشاعر كل تسلسل مفهوم لأنه يتوهم إعادة تموين العقل الباطن بدقة، فيميل إلى الحرية الذهنية غير مفيدة بضرورة أو التزام.

---

[1]–نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 38.

[2]– ينظر: عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000م، ص 05.

[3]– المرجع نفسه، ص 06.

إذن الرمز يمكن أن يكوّن سياقا كاملا بل نصا، ليس لفظة مجردة أو متلقى طرف فقط بل هو إشعاع، وهو مركز حيوي تنتشر منه الحقيقة في كل جهات الواقع وعلى سطوحه وبهذا يكون الرمز ما يريد الرمزيون أن يكونه ألا وهو التركيب.[1]

1-3-أنواع الرموز:

من الأساليب الفنية التي اعتمدها الشاعر عز الدين ميهوبي أسلوب الترميز والإيحاء الذي يأتي ضد التصريح المباشر، باعتباره من أفضل أشكال الإسقاط بالعودة إلى التاريخ والموروث الديني وغيرهما.

كما اهتدى الشعراء الجزائريون المعاصرون إلى استخدام أنواع عديدة في قصائدهم للرموز لم يقتصروا على نوع واحد، لذلك عثرنا على تنويعات عديدة للرمز منها ما يستجيب التصنيفات التي سنطرحها بعد حين، ومنها ما يشد، أما الذي يستجاب فكان إما طبيعيا أو أسطوريا أو تراثيا وتاريخيا أو أدبيا، ويجدر علينا أن نشير إلى إقرار أوجه التشابه والاختلاف بين دوائر الرمز التاريخي والديني.

1-الرمز الطبيعي:

لقد توسمت ساحة الشاعر الشعرية بلوحة فنية تزخر بأنواع عدة من التعابير الرمزية، ذات الدلالة العميقة المستوحاة من رحم الطبيعة، إذ سعى الشاعر من خلالها إلى وضع صورة فنية سحرية تمنح العالم شاعرية وتناغما كأنه قطعة موسيقية، وهذا ما نجده عند الإيطالي "أنبيرتوا إيكو" (U. E . C) الذي قسم الرمز إلى ثمانية عشرة نوعا منها العلامات الطبيعية وكل ما يتعلق بالطبيعة

[1]- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 38

من شجر وماء وخيال، وقد استخدم منها الكثير في المتن الشعري الشعراء "إبداع" غير أن الذي استولى على ساحة أكبر وبشكل يجب أن نقف عنده علامات ثلاث: النخل المطر والصفصاف، وهذا ما يتضح لنا من خلال قرائتنا لهذه الأبيات:

هائم أرى حنينا إلى جيمة

أستجيريها من هجير المكان

الرمال، رتوت من ذرى مقلتي

وهذا النخيل نما في دمي

وتهاوى على راحتي.[1]

كلمة النخيل تعبر عن حالة الشاعر النفسية وهو هائم فالنخلة هنا بمثابة رفيقته يستأنس بها إلى درجة تجعله مرتاح نفسيا.

وهذا ما نجده عند الشاعر عز الدين ميهوبي، أي يلجأ إلى عناصر الطبيعة التي تعد منبعا خصبا للخيال الشعري باعتبارها أكثر الأمور استلهاما للشاعر وإذ كاد لخياله الشعري بما تحتويه من مضامين جديدة تثرى العمل الأدبي وتضفى عليه مساحة جديدة تعكس نظرة الشاعر لصراعات عالم الإنسان وأحاسيسه المتناقضة وعلاقته المتشابكة، فاتخذ الشاعر ميهوبي من الطبيعة ومختلف مظاهرها معادلا موضوعيا لأفكاره، واستقى منها رموزا ذات دلالات واسعة وشحنات عاطفية تنبئ عن ذوقه الرفيع وحسه المرهف، فها هو في مستهل ديوانه يستعير من الطبيعة رموزا البلور الأبيض، النجم القمر، الورد، الشمس والضياء لترمز بها له من التقديس إلى جمال طاسيليا، جمال

[1]– نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 101.

بعيد المنال ممتنع، كما امتنعت الشمس والقمر عن الوصول إليها وكل هذا ليصل إلى العذاب والحرمان الذي يعانيه بلا شك عاشق طاسيليا لدرجة أنها استولت على هوى إله المطر في كيانه، ويظهر ذلك في الأبيات التالية في قوله:

عينان من البلور الأبيض

يا للبرق يخبئ نجمة

هذي الطفلة

في ألواح النار

يطلع من شفة الأشياء

إله

ومن البحر المنسي شفه

ومن النسيان يعود الملح

غيلاس

يا قمري السهران[1]

هل تسمع صوتي؟

أنا غيلاس الراعي

أعرف أنك تلمحني وتشيح بوجهك عني

كي تلمح عاشقة من نار

[1]– عز الدين ميهوبي، ديوان طاسيليا، دار النهضة العربية بيروت، 2007، ص 5.

أفرق أنك تشبهني حين تقول لماذا ينظر هذا الراعي

إلي ولست سوى

صخر معجون بمياه الضوء

أعرف أن لقلبك ما يجعل عاشقة في الأرض تنام وفي

شفتيها بقايا عطر

وورود وغناء.[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن الشاعر عمد إلى توظيف النجم والقمر اللذان يرمزان للجمال الخارق الممتنع، فكما أن نجوم أسماء متلألئة وجميلة فهي بعيدة يصعب لمسها، وعاشقها لن يحظى بها، وكذلك طاسيليا فهي الأميرة الساحرة التي لم يتمكن غيلاس الوصول إليها.

وحين يريد الشاعر الحديث عن رقة طاسيليا وعذوبتها وبراءتها وسذاجة أحلامها يلجأ الشاعر إلى الطبيعة مرة أخرى لتأخذ منها رموز العصفورة، الأعشاب البرية أشجار التوت في قوله:

طاسيليا

تبحث عن عصفور ممهور بالحناء

يأتي مسحورا بالزرقة والأعشاب سرية والأنواء

يسأل عن أشجار التوت

[1]– عز الدين ميهوبي، ديوان طاسيليا، ص6

وينفث ريش الرحلة فوق جبال المرمر

فوق سلال التين

وتحت جرار الماء.[1]

كذلك نجده يوظف رموز الصرو وورق الرمان للتعبير عن رقة الأهازيج الجماعية التي تستقي أنزار وتعود إليه في قوله:

الراهب:

يأتون

ويسترقون الأغنية الحلوة من شرفات الصُرو

ومن ورق الرمان.[2]

كما استعمل أيضا الشاعر رمزي الضياء والشموس للتعبير عن المكانة العالية، وبما أن الرمزان اقترنا بأداة امتناع لامتناع (لم) فالرمز يحيلنا إلى بساطة مكانة غيلاس وتدني قيمته ويترجم حجم الهوة بينه وبين حديثه فهو واسعا، وينبئ عن حجم الأسى وخيبة الأمل التي تعتري غيلاس، يظهر ذلك في الأبيات التالية في قوله:

غيلاس:

يا قمري السهران

[1]– الديوان، ص 17.

[2]– المصدر نفسه، ص 18.

هل تسمع صوتي؟

أنا غيلاس الراعي

أعرف أنك تلمحيني وتشيح بوجهك عني

كي تلمح عاشقة من نار

أعرف أنك تشبهني حين تقول لماذا ينظر هذا الراعي

إلي ولست سوى

صخر معجون بمياه الضوء

أعرف أن لقلبك ما يجعل عاشقة في الأرض تنام

شفتيها بقايا عطر.[1]

وكذلك ذكر الشاعر ظاهرة الحذب التي حملها معنى الموت والفناء المذكور باللفظ الصريح في قوله:

سليا:

يا أنزار

هل تعرف أن الأنثى لا تحفظ سر الأنثى

[1]– الديوان، ص 6

ورجال الحذب يقولون الموت له بابان.[1]

فهم يعرفون تماما الموت أسراره لكثرة اعتيادهم عليه.

أما الأرض فتراوحت دلالتها في ترميز ميهوبي بين الحرمان والعطش في قوله:

ولا يأتي أنزار اليوم

كأن الأرض تحن إليه.[2]

وتصير معادلا موضوعيا للخضوع والاستسلام للجبروت المسلط عليها من (الأرض تنام كطفل مسكون بالخوف).

بل تستحيل منفى في عين الشاعر وموطن الغربان حين تتبدل ويغيب فيها الأمن والسلام.

غراب يبحث عن ظل في المنفى.

ويلح رمز الصيف مرارا نظر"لارتباطه بمعنى الجفاف وقلة الماء وقساوة المناخ فهي تحيل لدلالة الضيق الذي سيحاصر أهل نوميديا بسبب انتقام إله المطر في قوله:

الراهب:

في الصيف القادم

يخرج هذا العاشق من تربته الزرقاء

ويمشي في الفوات وحيدا

[1]– الديوان ص 27

[2]– المصدر نفسه، ص 18

مثل نبي موعد بغديات الأطيار

ومواسم ينبت فيها الإثم.[1]

ويشخص الوطن بهذا وينبت فيه الروح ويسمى بنوميديا بـ (الوطن العطشان).

حتى تنبأ بموت نوميديا واندثارها (سيموت الناس وتصبح نوميديا رمادًا).

كما تكرر رمز نوميديا بكثرة فهي الأرض التي امتزج بها أهلها وتعرفهم ويعرفونها (نوميديا تعرف قلبي فلماذا تصمت حين أصبح؟) فهي من بقايا أجساد موتاهم وفي قوله:

الراهب:

في الصيف الطالع من عطش الصحراء

رأيت مدائن نوميديا تكبر في ملح الأموات.

وتضمر مثل قرابين التانيت الأزرق

يأتي

مهترئ الأصوات.[2]

نلمس في هذه الأبيات رمز الملح الذي يوحي للحفظ وطول البقاء والنماء كما يدل على الانتماء للأرض والتشبت بها فهم ينتسبون إليها.

يرتفع صوت أنزار في أعلى البرج

[1]– الديوان، ص 21

[2]– المصدر نفسه، ص 24.

يا طفل نوميديا

ارحل عن أرض تعرف مائي

الأرض سمائي

والطفلة لن تسمح صوت الناي

الصوت الأوحد

اسمي

ويظهر هنا أيضا في قول العرافة (ارحل فأنت نبته نوميديا المسكونة بالفرج المقتول) فغيلاس متشبث بأرضه ووطنه، تمسك النبات به وطنه غير أن رمز النبتة رمز طبيعي، أراد الشاعر عزّ الدين ميهوبي أن يضفي عليه معنى جديدا كما اعتمدناه عند الشعراء الآخرين فيحمله دلالة العجز والضعف.

ثم يعود الشاعر ليرمز لمعنى مغاير تماما ليدل على الأمل والحياة، وغير بعيدة عن هذه الدلالة تحمل النبتة معنى حب الأرض والتمسك بها، ويتضح أكثر في هذه الأبيات التالية:

غيلاس

لن أرحل يونيسا

ولتقرأ كفك ما شاءت

النبتة تحمل دفئ الأرض

الأرض أنا

وأنا فرح الأطفال وتلك النسوة

لن أرحل قبل مجيء أنزار.[1]

وإلى جانب آخر وظف رمز العشب ساعيا إلى إبراز معنى الأمل والتفاؤل في الحياة ويظهر ذلك في قوله:

دهيا:

وأنا أقرأ في كفيه حكايات القافلة الموعودة بالعشب.

وبالفرح المفتون

وبالسفن المنسية.[2]

ولعل الرموز البارزة رمز قوس قزح المرتبطة أساسا بالمطر وبأسطورة أنزار وهو رمز طبيعي دلالته النشوة والسعادة وتجدد الحياة وخيراته كما تعدد ألوانه ويتضح ذلك من خلال هذه الأبيات:

نوميديا

لك الحب

وأنت الفرح

[1]– الديوان، ص 9

[2]– المصدر نفسه، ص 27

نوميديا

لك المجد أنت

وقوس قزح.[1]

وفي قول الراهب:

قالت طاسيليا

حين اتسعت في الأفق غمامة

طاسيليا:

العين حصان بري

والقلب حمامة.[2]

وإلى جانبها السحاب والغمام الذي كثيرا ما ارتبط رمزهما ببشرى المطر وعودة الأمل والروح إلى الأرض الميتة كقول ميهوبي (قالت طاسيليا ... حمامة) وذلك في قوله:

طاسيليا:

ياغيمة نوميديا اقتربي

فأنا لا أعرف ماذا يخبئ أمس

وخذي خصلة شعري قبل غروب الشمس

[1]– الديوان، ص 10

[2]– المصدر نفسه، ص 19

في آخر هذه الأرض تنام يونيسا

يونيسا عرافة أمن.[1]

فالغيمة هنا رمز للغيث بعد طول الجفاف، وتحمل البشرى لكل الأرض وتعيد الأمل إلى النفس وفي قول الراهب مخاطبا غيلاس (كن غيمة طاسيلسا).

يونيسا:

طاسيليا يا نبتتنا الممهورة بالوجع المنسي

لا تنتظري غيلاس فإن له في أخر هذه الأرض

حروبا و مآثم

لاتنتظري فالأنثى نحوك يسكن عرش الماء

يجيئك حين يريد

ويحمل ماء العشق.[2]

ولا شك أن الماء من أكثر الرموز الطبيعية إلحاحا وتكرارا فهو الذي يرمز للقدرة والحياة والملك والسيادة (فالآتي نحوك يسكن عرش الماء)

وفي مقام الترهيب وخلق جو من الهلع والخوف الذي صحب صورة الراهب يوظف الشاعر رمزي الرعد والبرق يقول:

---

[1]– الديوان، ص 32

[2]– المصدر نفسه، ص 12

يتحرك الراهب من مكانه ويتوجه نحو طاسيليا

وينظر إليها بينما يكمل الشاعر كلامه

يسمع صوت الرعد والبرق.[1]

وكأن الشاعر يريد بعث رنة موسيقية حية في القصيدة يجعلها تفاعلية مع حواسنا التي تستشعر معاني الخوف والرهبة في أصوات الرعد والبرق التي تصاحب ظهور الراهب، إلا أن البرق رمز طبيعي يشق طريقا آخر عند مشاعر عز الدين ليحمل دلالات جديدة في سياق مغاير وفي قول يونيسا:

غيلاس الطفل يجيء

الناي يحرك شهوته في الليل

ويستلقي مثل محارب غيلاس "الجيتول"

عيناه البرق.[2]

(عيناه البرق) يدل على معنى الحزم والإصرار و بريق الأمل، وبالمقابل يظهر تكرار رمز "النار" ويتضح في الأبيات التالية:

طاسيليا:

وهل في أهل نوميديا من ليس له رمح

[1]– الديوان، ص 28

[2]– المصدر نفسه، ص 36

وحصان بريّ ودم من نار.[1]

ليحمل دلالة الحرب والغضب والرعد كرمز للغضب وتقابلها ألفاظ أخرى من نفس المعجم الدلالي تحمل دلالة الشدة والأزمة في قوله (أعيتك حرائق هذه الأرض وأتعبك الأتون بلا معنى...

غيلاس سيصير الماء رمادا

وتصير نوميديا أعظم من عرشك يا أنزار ...

والناي يغنى للأموات

فلماذا تهرب يا أنزار من التابوت؟

الليل يفوت.[2]

وتجدر الإشارة إلى حسن استعمال الشاعر للرمز الطبيعي "رماد" بحيث يوحي للغناء والاندثار التام دون أي أثر يرى أو خير يروى وبهذا المعنى وظفه أيضا في قوله (سيصير الماء رمادًا) في إشارة منه لتحول الماء رمز السلطة وقوة إله المطر إلى غبار تذروه الرياح، ولقد كان الشاعر عز الدين ميهوبي بارعا في توظيف رمزي الضوء والظلام لينتقل بين فصول هذه المسرحية الشعرية بخفة وبراعة، فطول الظلام يوحي عن الشاعر الغموض والتوتر والخوف من المجهول.

أما الضوء فهو تقنية استمدها الشاعر من فن المسرح للتركيز على شخصياته ويظهر ذلك في الأبيات التالية:

تنطفئ الأنوار

[1]– الديوان، ص 09

[2]– المصدر نفسه، ص 26

ويبقى ضوء في المكان وغيلاس وحيدا على صخرة.[1]

وأيضا في قوله:

تتغير ألوان المكان ... يختفي اللون الأزرق صدري

صوت أنزار يتلاشى ،يمشي غيلاس ... تظهر نسوة.

في المكان.[2]

أما الصخرة فكثيرا ما ورد مع البطل ولازمه ويظهر ذلك في قوله:

غيلاس متكئ على صخرة في زاوية من المكان.[3]

وقد جعله الشاعر مرادفا لغيلاس فهو مرادف لمعاني القوة والخشونة والصبر وتحدي محن الدهر ومصاعبه.

2-الرمز الأسطوري:

هو الذي يتخذ من الأسطورة إطارا شاسعا تتحرك في لواحقه والأسطورة قصة مركبة من عناصر إلهية خالصة ومن دون أساس تاريخي غير أنها اتخذت في المفاهيم المعاصرة في النقد العربي على الأقل معنى يقوم وسطا بين الأسطورة ذو القصة الشعبية ذات الأصول التاريخية.[4]

استخدم الشاعر المعاصر الأسطورة لتعميم التجربة الشعرية لتشبع الإنسانية كلها لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الرمز الأسطوري بصفة خاصة لا يكون مجرد استعراض لثقافة الشاعر

[1]- الديوان، ص 24

[2]- المصدر نفسه، ص 24

[3]- نفسه، ص 31

[4]- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 11.

وإنما يتوقف على حاجة القصيدة إليها أي تنجب الزحم من الرموز وكذا على مدى الأسطورة وإيمانه بها واستطاعته تحويلها إلى نبض داخلي يتخلل القصيدة فلا يكون مجرد استعارة يستعاض فيها بعض الشخصيات والأحداث الوهمية عن شخصيات وأحداث حقيقية.[1]

ومن هذا المنطلق نجد أسطورة غيلاس شغلت حيزا كبيرا في الديوان إذ يوحي إلى الأصالة والتاريخ وأيضا مزج الماضي مع الحاضر.

وعلى العموم فإننا نقول أن غيلاس عند الشاعر الجزائري المعاصر هو أصالة الوطن الذي يمتد من أعماق الجرح وهكذا كلما ذكر (غيلاس) تبادر إلى الذهن البطولة والتضحية والحضارة، وهذا شيء طبيعي فقيمة غيلاس تكمن في معاني القوة وروعة الاستمتاع بالأصالة والأناقة.

كما يبدوا غيلاس هو ذلك العاشق الولهان يكاد يذوب حزنا على طاسيليا، كما هو رمز خاص ابتكره الشاعر عز الدين ميهوبي ومنحه بأسطورة أنزار وبما أن الاسم يعني الأسد فدلالته القوة والهيبة والفتوة والجمال والفروسية والإرادة والعزيمة وهذا ما يوحي إليه.

كما نرى أيضا أن شخصية غيلاس مستمدة من الشخصية التاريخية المعاصرة لها أصول بربرية وقبائلية وصالحة عن تجربة الشاعر المعاصر وشخصية غيلاس شخصية مرتبطة بالحاضر تساهم في إثراء هذا الديوان وبمعناه العام هو الأسد وبالقبائلية (IZEM) وتتضح هذه الأسطورة أكثر في الأبيات التالية:

غيلاس:

يا قمري السهران

[1]– محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص 20.

هل تسمع صوتي

أنا غيلاس الراعي

أعرف أنك تلمحني وتشيح بوجهك عني.[1]

وأيضا في قوله:

فليأت

وسيرحل مثلي حين يرى التابوت يسير إليه.

وأنا لا املك غير الناي

يا ناي الحب

قل ما شئت فلست المذنب ... لست القاتل

لست سوى عاشق

أنزار يحب الموت وهذا الماء دم في الأرض.[2]

يبدوا لنا من خلال هذه الأبيات أن غيلاس شخصية قوية تحب التحدي ويظهر ذلك في ردة فعله ليونيسا أثناء إصراره للبقاء وعدم الرحيل .

ومن الأساطير الشعبية القبائلية التي وظفها الشاعر عز الدين ميهوبي أسطورة أنزار التي تعتبر الإله المتحكم في الماء والمطر والرياح، ويملك القدرة على عقاب مملكة نوميديا وأهلها

[1]– الديوان، ص 6.

[2]–الديوان ، ص 08

بحبس المطر، كما يعتبر منافسا قويا لغيلاس الراعي الفقير للظفر بطاسيليا ولأسطورة أنزار حكايتين:

أنزار أو أقفور هي كلمة أمازيغية تعني المطر أما أنزار بذاته هو إقليذ أقفور أي ملك المطر القادر على إنزال المطر ووقفه في الثقافة الأمازيغية، لا توجد آلهة، بل ملوك في خدمة الإله الأكبر إقليذ أمقران، عندما ينقطع المطر وتشتد الحاجة إلى المطر فلا أحد يستطيع إغاثة الخلق من الهلاك إلا أنزار كما تروي الميتولوجيا الأمازيغية قصة من التراث الأمازيغي في شمال إفريقيا كان في زمان لما كانت الأشياء تتكلم أنزار كان الإله المطر يظهر للناس في شكل قوس قزح غدا إذ بقيت قلوبنا صافية سوف تروه في السماء في يوم من الأيام أنزار شاهد على ضفة النهر فتاة تستحم عارية في ماء النهر فشغف قلب أنزار بحب هذه الفتاة الرائعة، وذات يوم قال لها ها أنا أشق عنان السماء من أحبك يا نجمة بين النجوم وأصبحت من الكنز الذي وهبته وإلا حرمتك من الماء فردت عليه الفتاة تتوسل إليه، يا ملك المياه، ألن أنشء الأقاويل وبعد سماع هذه العبارات قام من عليها، فأراد قائمه منصب النهر على القول وجفت أثار الماء فأصدرت الفتاة صيحة وتفجرت عيناها بالدموع، فالماء هو زوجها فخلعت ثوبها الحريري وظلت عارية، فخاطبت السماء قائلة:

أنزار – أنزار– يا زهرة السهول أعد للنهر جريانه وتعالى ي إله المطر، إنهارت الأرض الأم من أجلك تمسكت بالصبر.

يا أنزار إختفت علامات الخضرة، عروسك تتوسل إليك، يا أنزار إنها ترغب بك، أنزار أيها الإله كف عن الجفاف كي ينضج المحصول ويكسو منتج الجمل، وقد عاد بهيئة شرارة برق ضخمة يصد إليه العتاب وعاد النهر إلى سابق عهده في الجريان، فكانت الأرض كلها إخضرار هذا هو

أصل ثيسليث أو تلغنجا أو أنزار، فهي ظروف الجفاف يتم الانتقال بأنزار والفتاة التي تختار له عروس وخلاصة القول أنزار هو مهرجان وليمة لطلب الاستسقاء.

يظهر لنا أنزار كرمز قوي أسطوري وخرافي في بلاد نوميديا ويتحكم بالعناصر الماء، الرعد، البرق، ويتحكم في الماء وينصرف فيه ونلمس هذا الرمز من خلال الأبيات التالية:

غيلاس

لم أفهم شيئا

يا راهب نوميديا المنبوذ

الماء يخبئه أنزار

وأنا لا أملك غير الناي

هل تكفي يداي؟[1]

من خلال هذه الأبيات تتضح قوة أنزار يتحكم بالعناصر، الماء، الرعد ... البرق، على عكس غيلاس الراعي الذي لا يملك غير الناي. كما يتحكم أيضا في العالم العلوي بأيراجه وأفلاكه ويرقب الأرض ويتحكم في حياتهم من كل في قوله:

طاسيليا:

الغيمة ليست لي

الماء له

[1]– الديوان، ص 31

وله الأبراج بطل على نوميديا

ولنا ظمأ الأيام.[1]

من خلال هذه المقطوعة تتضح لنا طاسيليا أن كل شيء يملكه أنزار سواء الماء أو الغيمة أو الأبراج، فهو المتحكم في كل شيء.وعند شرح طقس أنزار وخروج النسوة والإنشاد طلبا المطر استشهادًا بهذا القول:

يونيسا:

خرج النسوة عند الفجر إلى الساحات

وغنين المطر الموعود

كأن القادم من سدف الغيمات.[2]

وإلى جانب آخر نداء النسوة لا تزال بغرض إطفاء النار ويتضح ذلك: من خلا قوله: أقوال النساء:

يا أنزار

يا أنزار

اطف اطف ... هذي النار.

يا أنزار

[1]– المصدر نفسه، ص 33

[2]– الديوان، ص 42

قطرة ماء ... تطفئ النار

يا أنزار.[1]

كما لجأ الشاعر إلى توظيف رمز أسطوري آخر ألا وهو العرافة التي تتنبأ بالغيب وتقرأ طابع المستقبل، وتحذر من المجهول الآتي، فقد طالما اتصال اسمها بالحكايات الأسطورية وأشهر عرافة في الأساطير العربية "زرقاء اليمامة" التي كانت ترى أعداء قومها من بعيد وتتنبأ بقدومهم وإغارتهم على قومها وقد وظفها الشاعر المصري أمل دنقل في ديوانه، وقد وظف الشاعر عز الدين ميهوبي هذه الشخصية الأسطورية تحت اسم يونيسا التي تنبأ بالأهوال التي يلاقيها غيلاس في رحلة صراعه مع إله المطر أنزار ويظهر ذلك في الأبيات التالية:

يونيسا

الراهب قال كلاما

وأنا قلت كلاما آخر يا غيلاس

أنت ستبكي مثلي قبل رحيل الشمس.[2]

وهي التي ترى العجائب والأهوال وكذلك تظهر في الأبيات التالية:

يونيسا:

أبصرت خرافا تأكل ذئبا في الصحراء

[1]– المصدر نفسه ، ص 42.

[2]– الديوان ، ص 34.

وأنا أعوي

لا يسمعني الآتون إلي.[1]

3-الرمز الديني:

كثيرة هي محاولات الوصول إلى مشارف الرمز الديني عند شعراء "إبداع" إذ تراوحت بين قصص الأنبياء عليهم السلام، وسور القرآن الكريم، وبعض الأماكن ذات الدلالة الدينية وغيرها.

أما عن توظيف قصص الأنبياء فنجد الشعراء يعكفون على قصة سيدنا يوسف عليه السلام يستهلون أجواءها يقول نو الدين درويش:

للغرفة الخضراء نافذة تطل على جهنم

وعلى امتداد الجرح تسبح عقرب

وبآخر الأسوار قافلة تبشر بالعذاب

وبداخل التابوت مأتم

وعيون أمي لا تكف عن السؤال

هذا قميصي قد من دبر ... وتلك صعيقتي

أماه أين جريمتي

وأنا المصادر في الحضور والغياب.[1]

[1]- المصدر نفسه، ص 39.

يقع الشاعر هنا بين الخطيئة والعذاب، فلا يجد لإثبات براءته غير قميصه الذي قد من دبر، مستعيرا بذلك بقصة يوسف عليه السلام مع زوج عزيز مصر إذ راودته على نفسه، وأشهرت في وجهه اتهاما بالخطايا وهو منها براء وما كانت براءته إلا رهن قميصه الذي استعاره الشاعر في هذا المقام عليه يجيره من النارين: الخطيئة والعذاب.

تقوم الرموز الدينية على بعض الصلات الداخلية بين الإشارة والشيء "المشار إليه" استعارة أو مجازا، الصليب، الجمل، الراعي، الطيب، وفي نظرية الأدب يبدوا من المرغوب فيه أن هذه الكلمة يجب أن تستعمل بهذا المعنى كموضوع يشير إلى موضوع آخر فيه ما يؤهله لأن يتطلب الانتباه أيضا إليه لذاتهن كشيء معروضة.

عمد الشاعر إلى توظيف القصص القرآني وبالأخص قصة سيدنا موسى ومعجزاته في قوله:

هل تنيحس الماكان من الصخر المفجوع وهل تنصب.[2]

مقتبس من قوله تعالى: «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانبجست فيه اثنتا عشر عينا.»

ونلاحظ تلازم ذكر رمزي الدم والماء، الدم الذي يحمل دلالة الموت والماء الرامز للحياة ويتجلى ذلك من خلال الأبيات التالية:

غيلاس:

فليأت

[1]– نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الجزائري المعاصر، ص 118.

[2]– الديوان، ص 34.

وسيرحل مثلي حين يرى التابوت يسير إليه

وأنا لا أملك غير الناي

يا ناي الحب

قل ما شئت المذنب ... لست القاتل.

لست سوى عاشق

أنزار يحب الموت وهذا الماء دم في الأرض.[1]

ليحيلنا الرمز إلى توظيف ديني واقتباس من قصص القرآن من قصة سيدنا موسى، ومن الآيات التي أيد بها الله سبحانه تعالى نبيه موسى تحول الماء إلى حمم ليرمز بهما الشاعر إلى فساد الحياة الآمنة المطمئنة على الأرض وحلول الموت والدمار من مكانهما.

ويظهر أيضا رمز القربان كرمز ديني يحمل دلالة التضحية والفداء بالنفس والنفيس لإرضاء الآلهة وقد وردت في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر).

وبالمقابل يقول:

أعيتك حرائق هذي الأرض

وأتعبك الآتون بلا معنى

الأرض هي المعنى

[1]– المصدر نفسه، ص 08

والماء يكاد يطير

وطاسيليا قربان الوطن العطشان.[1]

كما تظهر شخصية الراهب كرمز ديني ويطلق عادة على الإنسان المتزهد بالحياة المتقطع عن لذاتها ويتضح ذلك في:

الراهب:

تعجبني نسوة نوميديا

أحببت امرأة منهن فلم تسمع أغنيتي

وبقيت أغني وحدي كالمجنون

للراهب قلب

وله عينان

وله أحلام العاشق

لكن الراهب يعشق خلوته.

فينام وحيدا ويموت وحيدا.[2]

كما لجأ الشاعر إلى استخدام رمز ممهور بالحناء التي تعني بلونها الأحمر رمز الحب الصافي وحتى التفاؤل لأن المتشائم لا يزين نفسه في قوله: "ممهور بالحناء"

[1]– الديوان، ص 24.

[2]– الديوان، ص 41

كما نجد أيضا رمز الدم الذي يعني الشجاعة والإقدام وثاني النساء في تلك الفترة كانوا يعشقون الرجال الشجاع بلا توقف وتراجع، ويظهر ذكر لهذا الرمز:

غيلاس :

لن أرحل يا أنزار

في قلبي ما يشبه حربا ودما وخيولا ورماحا.[1]

4-الرمز التاريخي:

إن النصوص الشعرية الخالدة هي تلك النصوص المؤثثة بالصور الخلابة والاستعارات اللافتة والرموز الدالة والمفتوحة على كل القراءات بالإضافة لاحتوائها الأدائي لمعطيات التاريخ ودلالات التراث التي تستدعيه وتخلصه من لحظته التاريخية وتنفخ فيه روحا جديدة حسب المعطى الراهن والمدعى الشعري في الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد ... على امتداد التاريخ، في صيغ وأشكال أخرى.[2]

نقصد بالرمز التاريخي التوظيف الرامز لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع معينة وغيرها.[3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 25.

[2]- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 120.

[3]- نسيمة بوصلاح، ص 141.

يستمد الشاعر عز الدين ميهوبي رموزه من التاريخ ويعود إليه ليسير أغواره ويستقي من صفحات بطولاته رموزا، فها هو يعود لغزوات القسى والرماح في قوله:

غيلاس:

لن أرحل يا أنزار

في قلبي ما يشبه حربا ودما وخيولا ورماحا.[1]

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر وظف رمز الرمح لإبراز طبيعة الرجال في تلك الفترة، يرمز إلى الشجاعة يعني في تلك الفترة كانوا يعشقن الرجل الشجاع المقدام باعتبار ناس نوميديا كانوا شجعانا ويحملون الرماح ولكن طاسيليا كانت متميزة بأنها عشقت فنان يحمل الناي ويعزف، حين كان عدة الفارس حسامه وبراعته في القتال يملأ بها الأرض بطولات وقصص فروسية تروى جيلا عن جيل يقول:

غيلاس:

يا سيف العاشق للدم لا تصمت

كم حربا خضت

أنا لا أذكر تكنى ما زالت أحارب

تلك طبائع أهل نوميديا.[2]

[1]– الديوان، ص 25.

[2]–الديوان، ص 35.

فالسيف هنا رمز تاريخي يحمل دلالة أسطورية والفروسية وذكر رمز التابوت ويرمز للخلود والحفظ من البلاء والفناء ويظهر ذلك في الأبيات التالية:

سيليا:

يا أنزار

هل تعرف أن الأنثى لا تحفظ سرا لأنثى

ورجال الحدب يقولون: الموت له بابان.

الباب الأول: أن تعرف كيف تموت

الباب الثاني: أن تبحث عن تابوت أكبر منك

لتعرف أين تموت.[1]

[1]– الديوان، ص 27.

الفصل الثاني

1 - الأسطورة ودلالتها في ديوان طاسليا

1 - مفهوم الأسطورة

أ - لغة

ب - اصطلاحا

2 - نشأة الأسطورة

أ - الأسطورة في الشعر اليوناني

ب - الأسطورة في الشعر العربي

II-الأسطورة ودلالتها في ديوان طاسيليا:

II-1-مفهوم الأسطورة:

أ -الأسطورة:

جاءت لفظة الأسطورة في القرآن الكريم بصيغة الجمع، فضلا عن إقترانها بكلمة "الأولين" في تسع (9) آيات إحتوتها تسع سور جميعها مكية، ما عدا "الأنفال" فهي مدنية وبشأن قوله تعالى «أساطير الأولين»، في هذه الآيات يرى علماء التفسير منهم: الطبري وابن النحاس والزمخشري أن قائل هذا القول هو "النصر بن الحارث" مع إختلافهم في عدد الآيات التي نزلت فيه.[1]

وجاء في قوله تعالى: «ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن ترو كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين».[2]

وجاء قوله أيضا عزوجل: «وقالوا أساطير الأولين أكشبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا.»[3]

وجاء في المنجد في اللغة والإعلام: الأسطورة جمع أساطير القصة أو الحكاية وفيها مزيج من مبتدعات الخيال والتقاليد الشعبية.[4]

---

[1]- ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر القاهرة، ط1، 1995، ص 24،23

[2]- سورة الأنعام، الآية، 25.

[3]- سورة الفرقان، الآية 05

[4]- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط 39، 2002، ص 11.

أما في قاموس مصطلحات النقد المعاصر: الأسطورة حكاية أو رواية شعبية أو إنسانية متصلة بحياة إحدى الأمم تهدف إلى التغيير عن بطولة أو قيمة ذات أثر هام في نفوس الناس والأمة.[1]

نفهم من خلال هذين التعريفين أن الأسطورة هي القصة أو الرواية التي كتبها الأولون وهي الوسيلة التي عبر بها الإنسان البدائي عن فكرة ومختلف أنشطته ومن جانب آخر نجد كلمة الأساطير كانت في لفظها ودلالتها معروفة عند الجاهليين ولكن إذا عدنا إلى الشعر العربي القديم لا نجد إستخدام كلمة أسطورة إلا في نص شعري منسوب إلى شاعر مخضرم هو عبد الله بن الزبعري في قوله:

ألهي قصتنا عن المجد الأساطير ورشوة مثلما ترشى أسفافير

وأكلها اللحم بحثا لا خليط له وقولها رحلت عبر أتت عبر

وما يستشف من هذا التعريف أن العرب لم يستخدموا هذه قبل ظهور الإسلام لأنها لم ترد أشعارهم التي وصلت إلينا.[2]

أما في معجم لسان العرب جاء معناها على أنها ما سطر الأولون والأساطير والأباطيل وأحاديث لا نظام لها، ويقولون للرجل إذا أخطأ: أسطر فلان اليوم، والإسطار الأخطاء، وسطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها.[3]

---

[1]– ينظر: سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، 2001، ص 90.

[2]– ينظر: ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994، ص 16.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص 363.

ب-الأسطورة إصطلاحا:

كل الشعوب عرفت الأسطورة والتقت عندها ... فهي تراث الإنسان حيثما كان وأينما كان ... على بعد المكان، وعلى إختلاف الزمان يلتقي الإنسان بالإنسان عند نسيج الأسطورة المتشابه الموحد ... ومنه يستمد الإنسان عطر لا ينمحي، يذكر بقدرته على الخلق والمحاكاة والإبداع.[1]

جاءت الأسطورة عند اليونان بمعنى: علم الأساطير الذي يقابله في المصطلح الأجنبي Mythology أو مجموعة الأساطير خاصة المتصلة بالآلهة و أنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما.[2]

الأسطورة: (Mythe) كلمة مشتقة من لفظ (Mytho se) اليوناني الذي يعني "المنطوق"، وقد أخذت الكلمة معنى الجزء القولي المصاحب للشعائر الدينية والممارسة بالرقص أو الحركة في الأديان البدائية الأولى.[3] نفهم من خلا هذا التعريف أن الأسطورة لها علاقة بالإنسان البدائي.

الأسطورة كلمة يحوطها سحر خاص ... يعطي لها من الإمتداد لا مالا يتوفر للكثير من الكلمات في اي لغة من اللغات ... إذ هي توحي بالامتداد عبر المكان وعبر الزمان ... توحي بالعطاء المجنح للعقل الإنساني وللوجدان الإنساني توحي بالحلم يمتزج بالحقيقة، وبالخيال وهو

[1]- ينظر: فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية الظاهر، القاهرة، ط1، 2004، ص 3.

[2]-ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص28.

[3]- ينظر عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، مطابع الهيئة المصرية العاملة للكتاب، 2002، ص 406.

يثري واقع الحياة بكل ما يغلقه ويطويه وفي إسار من الوهم يخفيه ليخلق منه دنيا جديدة هي شعر الأحداث وتهويم الطموح الإنساني نحو المعرفة ونحو المجهول.[1]

وورد في دائرة المعارف للبستاني أن الخوري ميخائيل غبرائيل هو أول من إستعمل لفظة الأسطورة للتعبير عن مضمون الميتولوجا (Mythologie) والذي يعن الحكايات القديمة.[2]

والأسطورة هي الجزء القولي المصاحب للشعائر الدينية الممارسة بالرقص أو الحركة في الأديان البدائية الأولى.[3] نفهم من خلال هذا التعريف أن الأسطورة دين بدائي ومحاولة لتفسير الأديان.

وهناك إفتراض آخر هو أن الشعراء إستعملوا كلمة الأسطورة ولكن الرواة والعلماء المهتمين بجمع الشعر الجاهلي وتدوينه تجاوزا الأشعار التي تتضمن هذه الكلمة، إستحياءًا وحرجا بعد إستعمال القرآن الكريم لها.[4]

تحوم الأسطورة في النقد الحديث حول حقل هام من المعاني تشترك فيه الديانة والفلكلور وعلم الإنسان، وعلم الإجتماع والتحليل النفسين والفنون الجميلة، ولكن في القرن ما بين السابع عشر ميلادي والثامن عشر ميلادي كان للمصطلح معنى سلبي باعتبارها تخييلا أي أنها غير صحيحة علميا أو فلسفيا، لكن حديثا أصبح للأسطورة مفهوما آخر ويظهر ذلك عند كل من: فيكو

[1]– فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 03.

[2]– ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 16.

[3]– فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 04

[4]– ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 22.

كلودريج وأمرسون ونيشي "مفهومها مثل المفهوم الشعري هو نوع من الحقيقة أو معادل للحقيقة، ليس منافسا للحقيقة العلمية أو التاريخية بل رافد لها".[1]

أما جيمس هاريسون يرى أن الأسطورة: «قصة خيالية فحين تقول إن شيئا ما أسطوري فنحن نعني أنه لا وجود له، وقد بعدنا عن ذلك التفكير القديم والشعور القديم.»[2]

2-2-نشأة الأسطورة:

ولعل نشأة الأسطورة قد رافقت الصور الأولى في ذهن الإنسان المتفوق على أقرانهم، والأخيلة التي رسمها في عقله، وأطلقها وأقنع نفسه بها في مراحل حياته وكلما تقدم في تصوراته، كان ينمي تلك الصور والأخيلة لتتوافق وحضارته وتراثه وطبيعة أرضه، وما يحيط به من أمور مخيفة مرعبة، أو مريحة نافعة ولا يخفى أن ما يرعب الإنسان ويشد تفكيره، ويحمله على الإعتقاد هو دائما فوق قدرته خارج نطاق سيطرته. من هنا تألفت الأساطير من قصص الأرباب القادرين أو المنهزمين أمام أرباب آخرين أكثر قوة وأقوى عزيمة وأقدر غلب على بعث الرعب في النفوس أو تخليص النفوس من رعب سيطرة عليها من الزمن.[3]

وقد إختلفت المواقف وتباينت الآراء في نشأة الأساطير وطبيعتها ومدلولاتها، فهناك من ينظر إليها كأنها روايات خرافية وهمية، وأنها نتاج لخيال مهوش. وهنالك من يؤمن بأن أساطير

[1]- ينظر رونيه وليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبيح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1987، ص 189.

[2]- ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 25.

[3]- المرجع نفسه، ص 25.

العالم القديم إنما تمثل واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية، وهو الخلق الملهم لعقول شاعرية، خيالية موهوبة.[1]

يمكننا القول أن الأسطورة نشأتها كانت مرتبطة بالإنسان وما يدور في ذهنه من تصورات وأوهام أي كل ما يدور في خياله.

تعود نشأة الأسطورة إلى محاولة الإنسان القديم للرد على الأسئلة المتعلقة بالقدم الذي كان يتعجب مما يحيط به من ظواهر الكون وأسرار الطبيعة، كما أنها رافقت الصور الأولى من خلال الأخيلة التي رسمها في عقله وأطلقها، إذ نجد الإنسان البدائي يخاف من ذلك الإعتقاد الذي يكون فوق قدرته وخارج نطاقه وسيطرته، من هنا يمكننا القول أن الأساطير تألفت من الأرباب القادرين أو المنهزمين أمام أرباب آخرين أكثر قوة وأقوى عزيمة.[2]

ومن المدارس التي إهتمت بالأسطورة ونشأتها نجد:

أ-المدرسة التاريخية:

ترى أن الأساطير التي وصلت إلينا في أصولها إلا تاريخ البشرية الأولى نسيت ملامحه الدقيقة وأضفى الخيال الإنساني عليه جوًا فضفاضا، وتاريخ الآلهة ما هو إلا تاريخ لعصر الأبطال، حيث كان الإنسان يعجب بالقوة والجبروت ويتطور هذا الإعجاب عند الأجيال إلى نزعة من التقديس تتلاشى معها الحدود الفاصلة بين حقائق الواقع الإنساني وحقا بالوجود الغيبي فنصل إلى حد عبادة الآباء ثم تصل إلى تناسي هذه الأبوة ودخولها مرحلة التأليه وهذا التفسير مرتبط

[1]- ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات قبل الإسلام ص 26

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

بالتاريخ المحلي للشعوب، بوصفه تعبيرا رمزيا عن الأبنية الإجتماعية والحضارية المعبرة عن الفكر الجماعي وبالأساليب البدائية العتيقة ... ومن أبرز أصحاب هذا التوجه "شلنج" و "ماليتوفيسك".[1]

ب-المدرسة الأنتروبولوجية:

مؤسسها بانايلور، وهذه المدرسة ذهبت إلى منهج يجمع الأساطير المتشابهة في مجموعات للحصول على علم حقيقي للأساطير مع مقارنتها بعضها ببعض لتتبع فعاليات علمية التخيل التي تتكرر بتناسق مع قاعدة فكرية، من أهم أتباعها "هربرت" و "سبستر".[2]

ج-المدرسة الطبيعية:

ترجع هذه المدرسة كل الأساطير إلى منشأ طبيعي يتصل بالظواهر الكونية مثل المطر، الزرع ، البرق والرعد والرياح وغيرها، وقد ربط الإنسان القديم كل هذه الظواهر بقوى غيبية بعيدة تسيطر عليها وتتحكم فيها وتتصارع فيما بينها، بحيث ينتهي الصراع بخلق حالة من التوازن بين الخير والشر، متوخيا بذلك كله السيطرة على قوى الطبيعة بالأساليب العلمية المتمثلة بالطقوس وغيرها لتحقيق أهداف عملية ونفعية محددة، وكان "جيمس فريند" و"أندرولانج" و "لورنس جوم" من دعاة هذا الرأي.[3]

[1]- أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 38.

[2]- ينظر: سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث، المركز الرسمي لبحوث الحضارة (تحت التاسيس) القاهرة، ط3، 1999، ص 26.

[3]- أحمد إسماعيل النعيمي الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 39.

د-المدرسة التعبيرية:

خالفت هذه المدرسة آراء من ربط نشأة الأسطورة بالظواهر الكونية وأنكرت أن يكون الإنسان البدائي قد اشتغل بالكون ونظامه إلى حد التأمل والتعجب والتساؤل وترى أن أبسط تعبير عن نظام الكون وعن المبادئ الأساسية للنظام الأخلاقي في الحياة يتطلب لغة واصطلاحا تجربة واصطلاحات تجريبية وهذا ما ناد به "لورد راجلان" أما "ماكس مولر"فيؤيد هذا المعنى بقوله: «إن الأسطورة نشأت نتيجة قصر أو عيب في اللغة مما أدى إلى أن تكون للشيء الواحد أسماء متعددة كما أن الاسم الواحد كثيرا ما يطلق على أشياء مختلفة وكان من نتيجة ذلك أن خلط الناس بين الأسماء ومالوا إلى الإعتقاد بأن الآلهة متعددة.»[1]

هـ- المدرسة النفسية:

ترى مدرسة التحليل النفسي أن الأسطورة صنف من الحلم إذ يمكن أن تكون بمثابة أعراض تدل على وجود حقائق أخرى، فيبدوا من هنا رموزا لظواهر نفسية لا شعورية تمثل قوى تتحكم في مسيرة الفرد وسلوكه الإجتماعي في إشارتها إلى حاجات حيوية تمكن سماه فرويد بـ: "عقدة أوديب" وفيما حعله "يونغ" لقاء ثقافيا نفسيا صعيد اللاوعي الجمعي ويوافق "إيريك فروم" رأي فرويد في العلاقة بين الأسطورة، الحلم، ولكنه يخالفه في النظر إليها عن كونها نتاج العقل اللاشعوري إذ يرى أن العقل في حالة الحلم إنما يعمل ويفكر ولكن بطريقة أخرى هي لغة الرمز وما علينا إلا أن نفهم مفردات تلك اللغة لينفتح أمامنا عالم مملوء بمعان غنية ثرية.

[1]- أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 39.

تلك هي أبرز المدارس والنظريات التي فسرت بواعث الأسطورة ولقد لخص "توماس يوليفيسكي" ميثولوجية اليونان و روما آراء العلماء والباحثين في هذا المجال وبلوروها في أربع نظريات هي: دينية وتاريخية ومجازية وطبيعية.[1]

2-3-الأسطورة في الشعر الغربي:

يرى "كامبيل" الأسطورة هي: «الفتحة السحرية التي تنصب منها طاقات الكون التي لا تنفذ إلى مظاهر الحضارة الإنسانية، فالأديان والفلسفات والفنون والأشكال الإجتماعية عند الإنسان البدائي والإنسان التاريخي والإكتشافات الكبرى في العالم والصناعة وحتى في الأحلام التي تتناثر في النوم كلها تتبع من الدائرة السحرية الأساسية للأسطورة.»[2]

نفهم من خلال هذا التعريف أن الأسطورة هي نتيجة تجارب القدماء في الحياة وأيضا نتيجة لفكرهم.

أما "كلود ستروس" يرى أن كل الأسطورة «هي بطبيعتها إما مفتوحة أو مقتبسة نجد حذورها في أسطورة أخرى مصدرها شعب مجاور أو في أسطورة سابقة من أساطير الشعب نفسه فما يبدوا مرتجلا من الأساطير قد أعيد إنتاجه في مناطق شتى من العالم.»[3] بمعنى أن الأسطورة مأخوذة من أسطورة أخرى مصدرها دائما هو الشعب.

[1]- أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 27.

[2]- ينظر: سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2005، ص 141.

[3]- ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإيسلام، ص 53.

وحاء في المدرسة اليوهمروسية نسبة إلى يوهيمروس أن الأسطورة هي: «هي قصة تروي بعض الأحداث العامة في حياة الشعب الذي أبدعها بعد إدخال بعض التعديلات عليها وصياغتها في قالب فني مشوق.»[1]

المقصود بالأسطورة في هذه المدرسة هو أنها متعلقة بحياة الشعب أي بالأحداث التي يعيشونها وطرحها للمتلقي بعد تعديلها وتقديمها على شكل قصة مشوقة.

أما "هردر" يرى أن: «الحكايات الشعبية بأسرها ومنها الحكايات الخرافية والأساطير هي بكل تأكيد بقايا المعتقدات الشعبية كما أنها تأملات شعبية الحِسّية وبقايا قواه وخبراته حينما كان الإنسان يؤثر فيما حوله بروح ساذجة غير منقسمة على نفسه».[2]

يرمي هذا التعريف إلى أن الأسطورة هي بقايا المعتقدات الشعبية بما تحمله من أحداث وأفكار وأخيلة الإنسان القديم بكل ما تحمله من سذاجة ويقول الكاتب الألماني "فريدرش فون ديرلاين" في كتابه الحكاية الخرافية «من السهل أن نعثر على بذور الحكاية الخرافية في جميع أنحاء الأرض فنحن نعثر عليها عند شعوب الحضارات القديمة، كما نحضر عليها عند البدائيين في عصرنا الحاضر وقد كانت بعض الشعوب تمتلك موهبة خاصة في خلق الحكايات الخرافية مثل الهنود والعرب والكتلين إذ صاغوها في أكمل صورة فنية لها، كما بخيالهم ..... وكسوها بالبهاء والروعة.»[3]

ويقول أيضا "ثيودوربنفى" صاحب الكتاب المشهور لدى دارسي الأساطير والآداب القديمة والذي درس فيه الأصول الأسطورية لبعض الحكايات والأساطير الهندية تحت عنوان "بتشاتترا":

[1]– أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 25.
[2]– فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 04.
[3]– المرجع نفسه، ص 04.

«نشأت أنواع الحكايات الخرافية والأسطورية في بلاد الهند وهي في أصلها حكايات بوذية كانت تحكى لأغراض تعليمية ثم انتشرت في أوروبا عن طريق العرب.»[1]

جاء في التعريف الأول أنه يمكن العثور على الحكايات الخرافية عند شعوب الحضارة القديمة أما في العصر الحالي عند البدائيين.أما التعريف الثاني ربط أنواع الحكايات الخرافية والأسطورة بالأصل البوذي أي في بلاد الهند.

أما وليم جريم يقول: «أن التشابه بين الحكايات الخرافية رغم ما يفصل بعضها عن بعض من مسافات زمنية ومكانية بعيدة ليس أقل مما بين الشعوب المختلفة من أمور متشابهة رغم إنفصالها ويرجع بعض هذا التشابه إلى تماثل الأفكار الأساسية عند هذه الشعوب وإلى وسيلتهم في عرض شخصيات بعينها كما أن البعض يرجع إلى ما عندهم من وقائع متشابهة وإلى طريقتهم في إيجاد تفسير لها.»[2] نفهم من خلا هذا القول أنه يمكن أن تنشأ أساطير الشعوب في الأفكار الأساسية.

2-4- الأسطورة في الشعر العربي:

ولا يخفى أن الأساطير والخرافات العربية هي الترجمة العلمية والصورة المطابقة للأساطير والخرافات الشرقية فالأصل الواحد في جنس ونوعية الشعوب إنعكس أصلا واحدا في أساس ونوعية الأساطير والخرافات وإن اختلفت اللغة والصياغة ومستويات الفهم فالأرض العربية أرض شرقية مرتبطة بالشمس والإنسان العربي إنسان أساسي وهو في الأصل قريب من الروحانيات.[3]

---

[1]- فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 05

[2]- المرجع نفسه، ص 05.

[3]- ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 56، 57.

أما الأسطورة والشعر العربي فهما توأمان، قد سبقته في التاريخ وقد سبقها في التاريخ لكنهما بقيا أخوين لأم واحد في الذهنية العربية.[1]

ومن خلال هذا نرى الأسطورة والشعر العربي مرتبطان كل الارتباط ببعضهما البعض أي جزءان لا يتجزءان عن بعضهما البعض.

"فراس السواح" يعرف الأسطورة على أنها: «حكاية مقدسة يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة وأحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة أنها سجل الآلهة تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العناء ووطدت نظام كل شيء قائم ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر.»[2]

يرمي هذا التعريف إلى أن الأسطورة ليست حكايات خرافية وأوهام وأحداثها ليست متخيلة بل واقعية وحصلت في الأزمنة الأولى المقدسة. كما نجد أيضا الأساطير "Myth Mythos" في الفهم الكلاسيكي مجموعة خرافات وأقاصيص وهي اشتقاقات من شطر الأحاديث وموضوعها إضافة إلى الآلهة يتناول الأبطال الغابرين وفق لغة وتصورات وتخيلات وتأملات وأحكام تناسب العصور والمكان الذي صيغت فيه وشكل الأنظمة والمستوى المعرفي وهي في الوقت ذاته تشكل ثقافة عصرها، بحيث تبدوا ذات خصوصية نربطها بيئتها ومجتمعها بحيث يمكن من دراستها استقراء للتاريخ الأصدق.[3]

[1]– الديوان، ص 133.

[2]– ينظر، فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط1، 1980، ص

[3]– سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث، ص 26

يتركز هذا العمل المسرحي الشعري على شخصية مهمة وهي طاسيليا ويظهر هذا الارتكاز في دلالة العنوان. بحيث أن دلالة عنوان الديوان هو طاسيليا، وهذا لأن المؤلف يلفت إنتباه القارئ إلى هذه الشخصية المهمة هذا من ناحية العنوان.

أما من ناحية الأسطورة ففي حد ذاتها تمثل طاسيليا أسطورة وهي تمثل فتاة من نوميديا، بحيث لا تظهر بصوتها إلا بعد أصوات وأغان وشخصيات كثيرة أخرى كالراهب وغيلاس ويونيسا وعلى الرغم من ذلك تبقى هذه الشخصية أساسية ورئيسية في متن الحكاية.

ففي الأسطورة تقول بأن طاسيليا أن يتزوجها 'له البحر والماء لذلك فإنها تعشق الماء ولكن لم تحبه هي، وذلك أرغمها أهلها على الزواح بها بتقديمها كقربان له وهذا ما يدل أن طاسيليا تمثل رمز الحب الصافي المعارض للتقاليد وتظهر طاسيليا للمرة الأولى في هذا العمل المسرحي حينما نتحدث مع نسوة نوميديا إذ تصف نفسها كالعصفورة المغردة وأنها هي التي تجعل العطر نديا كما تتضح في هذه الأبيات أن نسوة نوميديا يطلبن من طاسيليا على أن تكون تلك العصفورة والعاشقة الأبدية وبظهر ذلك في هذه الأبيات التالية:

طاسيليا:

يكفيني العشق لأجعل هذا العمر حدائق

يسكنها الأبطال الأبديون

وأنت العطر

أنا من يجعل هذا العطر نديا

سيليا: كوني كالعصفور

طاسيليا كنت.[1]

يتجدد ذكر غيلاس في حوار مع الراهب وذلك في تأمله لطاسيليا من مكان بعيد حينها يتدخل الراهب بقوله لغيلاس أن يكون قويا ويتحدى أنزار وأن غيلاس فيه قوة الماء وهي ليست محصورة في أنزار بقوله:

كان ماء الجكمة

كان ضوء نوميديا حين تغيب الشمس

أنظر ياغيلاس فتلك الطفلة

غيمة نوميديا

الماء سيطلع منك.

غيلاس:

لم أفهم شيئا

يا راهب نوميديا المنبوذ

الماء يخبئه أنزار

وأنا لا أملك غير الناي

[1]– عز الدين ميهوبي، طاسيليا، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، 2007، ص 12، 13.

هل تكفي يداي.[1]

ومن خلال هذه الأبيات يظهر لنا أن غيلاس لم يفهم شيئا ولم يفهم كلام الراهب لأنه لم يدرك معنى الماء وما الذي يريده الراهب فيقول غيلاس: "أنا لم أفهم شيئا" ليسأل عن حيرته ودهشته للعرافة ويشكك في كلام الراهب بأنه يطلع منه الماء.

الراهب:

الماء سيطلع منك ... فلا تسأل

كن غيمة طاسيليا

أو مت.[2]

لتجيبه العرافة وتفسر له تفسيرا آخر بأنه سيطلع منه الماء ولكن عن طريق عينيه وهو تعبير عن الشوق وحرارة الألم وسوء الفراق.تقول: أنت ستبكي مثلي قبل رحيل الشمس.

ويرد عليه كذلك بأنه قوي ويفتخر ببطولاته في نوميديا وبأن أنزار لا يخيفه مثل تكلم عن ذلك ففيها فخر بالحب: يا هذي الأرض

الممتدة بين ضفيرة عاشق وحدي

الناي

لا يعرف طعم الحب سواي.[1]

[1]- الديوان ص 31.

[2]- المصدر نفسه، ص 32.

وفيها توعد أنزار بالمجيء ومحاربته.

يا هذي الأرض دعيني أهرب منك

لأجعل من أنزار ...

نوميديا

يا هذي الطفلة أن ...

فلترحل يونيسا إن شاءت[2]

ليحدث جوار غيلاس مع طاسيليا ليتغزل بها ويعبر عن شوقه لها.

كما نجد في هذه الأبيات الهواية غزل وشوق ومحبة وفيها مخاطبة لطاسيليا التي كانت على برج من أبراج أنزار.

كما يبدو غيلاس قد تفهم معنى المطر الذي قصده الراهب والعرافة فيقول:

غيلاس:

طاسيليا يافتنة الأقمار

لو كنت الضوء

منحتك هذي الشمس وأبقى ملتحفا بالريح وأنت النار

طاسيليا يا وردة نوميديا المسكونة بالعطر المفتون.

[1]- الديوان، ص 35.

[2]- المصدر نفسه، ص 35

يا طفلتنا المغرورة رمحا في شفتي

أرى مطرا يساقط في عيني فأرقص.[1]

وهنا يتحول معنى الدمع من الحزن والفرح وكأن الدمع هو الماء إذا سقط وفيه دلالة كل تحدي أنزار الذي يحكي أنه يملك الماء ولا يملكه غيره، وحين تنزل الصاعقة والعذاب على نوميديا بسبب منع أنزار من طاسيليا فإنه لن يطفئ النار ولن ينزل الماء ولهذا يستغيثون به أهل نوميديا.

صوت جماعي:

يا أنزار

يا أنزار

اطف اطف هذى النار.[2]

ثم يتجدد ذكر أنزار عندما يصل غيلاس بجانب البرج الموجودة طاسيليا وتسمع صوته حينها يغضب أنزار ويحصن غيلاس بأن يرحل ويظهر ذلك في الأبيات التالية:

أنزار غاضبا:

يا طفلتهم

عودي إلى برجك

هذا الراعي لن يملأ قلبك بالغريد

[1]–الديوان، ص 46.

[2]– المصدر نفسه، ص 42

لن يعرف كيف يجيئ إليك

فهذا الدرب بعيد

أنزار

وهذا العرس مدي عينيك فسيح

الماء يسبح

وأنا أحببتك حين رأيتك

تحترقين رهب الرياح.[1]

فيخاطب طاسيليا بأن تبتعد عن البرج لكي لا تستمع صوت غيلاس ومن حسن صوته شبه صوته بتغريد العصافير ثم يتغزل في موقف آخر لطاسيليا معبرا عن سخائه لنوميديا بالأمطار وهو مهر لطاسيليا، وفي الحادثة التالية:

يا أهل نوميديا

أحببت الطفلة

هذا المهر سماء تمطر حتى صباح الغد

يا وشما زين الزند.[2]

[1]– الديوان، ص 48.

[2]– الديوان، ص 53.

من خلال هذه الأبيات تبرز قيمة التضحية حيث تريد غيلاس أن يضحي في سبيل محبوبته حتى ولو بموت فإن كل شيء يموت حتى أنزار نفسه حيث يخاطبه غيلاس ويسأله عن سبب خوفه من الشمس.

غيلاس

لن أرحل يا أنزار

في قلبي ما يشبه حربا ودما وخيولا ورماحا

وعيونا تفرح حين أعود

لن أررحل

هذي نوميدا تعرفني

وتعلم أني العاشق

هل يوجد مثل في عرشك يا أنزار.[1]

نلمس في هذه الأبيات نوعا من افتخار غيلاس بحبه لطاسيليا وكيف أنه إنتصر في الحروب والمعارك وشجاعته الضارية، كما يقول في قلبي ما يشبه حربا ودما.

غيلاس

يا هذي الأرض الممتدة بين ضفيرة غاشقة وحيث الناي

[1]– المصدر نفسه، ص06

لا يعرف عطر الحب سوي

يا هذي الأرض

كم حربا خضت لأجل نوميديا

لم أهزم

يا سيفي العاشق للدم لا تصمت

كم حربا خضت

أنا لا أذكر لكن مازلت أحارب

تلك طبائع نوميديا.[1]

من خلال هذه المقطوعة يتضح لنا أن غيلاس خاض عدة حروب في سبيل الدفاع عن نوميديا من أعدائهم وخصومهم والجميل أنه لم ينهزم في أي حرب ويعود ذلك لامتياز أهل نوميديا بالشجاعة.

أنزار: يعتبر أنزار من أهم الشخصيات حضورا في القصة وفي الديوان حيث يعتبره شخصية أسطورية متمثلة في الآلهة وهو المتحكم في المطر والبحر والبرق والرعد والريح كما يعتبر أيضا منافسا لغيلاس حيث يتأخر حضوره في كلامه ولكن يأتي ذكره على لسان الراهب في قوله:

في ألواح النار

يطلع من شفة الأشياء

[1]– الديوان، ص 06

إله

ومن البحر المنسي شفاه

ومن النسيان يعود الملح وتكبر في اللغة الأسوار

هل يأتي اليوم إله الماء

ويخرج من دمه أنزار.[1]

ثم تذكره العرافة بأنه حان موعد أنزار لكي يأخذ طاسيليا ويظهر ذلك في قولها.

أنزار سيأتي

يبرز أنزار مخاطبا أهل نوميديا بعدما نادوه لما حل بهم من ضائقة ونكد ويؤكد حضوره في قوله:

أناأنزار

أنزار سيأتي

كما نجده أيضا يفتخر بقوله على إسعاد أهل نوميديا وهذا الفخر هو بمثابة تمهيد لما سيقوله لاحقا ويظهر ذلك في الأبيات التالية.

أنزار

أنزار سيأتي

[1]–الديوان، ص 6

أنا أنزار

أنزار سيأتي

الراهب:

لن تأتي يا أنزار

دم في تلك الأرض وأنت الطالع

من أيقونة ماء الحكمة لا تتعبث

وهل تنصب

لا يعرف معنى الموت سحورا.[1]

الراهب: تعتبر شخصية الراهب شخصية ثانوية حيث استهلت به الأسطورة حيث تتساءل وتبحث عن قدوم إله الماء في قولها:

هل يأتي اليوم إله الماء

ويخرج من دمه أنزار.[2]

كما يظهر لنا الراهب شخصية حساسة أشفقت على حال غيلاس وطاسيليا عكس نوميديا العرافة التي تكره غيلاس وهذا الراهب هو الذي أخبر غيلاس بأن الماء سيطلع منه.

أهل نوميديا:

[1]– الديوان، 22.

[2]– الديوان، ص5

هم ذلك الأهل الذين ينتظرون بفارغ الصبر حلول الشتاء ويجرون من أجل تقلص أرض نوميديا من الجفاف لأنها تحتاج إلى الماء وإخضرار المنتوج وتنبعث أصوات تتكرر وهي كلمة أمازيغية وتعني الماء.

أمان

أمان

أمان.[1]

من خلال هذه الأبيات يتضح لنا أن أرض نوميديا تحتاج إلى الماء والتخلص من الحفاف والقحط على أرض نوميديا وهذه العادات موجودة إلى يومنا هذا أثناء إنقطاع المطر يخرجن النساء لطلب نزول المطر بعدما أن عان المحصول من القحطان والأرض من الجفاف فيشكلون صوتا جماعيا يطلبون من أنزار الغيث والمطر لأرضهم وبالقبائلية نقول:

Anzar anzar arabi swit arazar

يعني ذلك من شدة إحتياجهم وضرورة وجود الماء يطلبن المطر بغزارة.

يونيسا:

يونيسا عرافة نوميديا شخصية أسطورية وخرافية إرتبطت عند الشعوب وهي المرأة التي ترى الأخطار من بعيد وحيث أن أهل نوميديا يستبشرون لكونها تنبأت بعودة طاسيليا وهذا ما حدث بالفعل وفي الأساطير تكثر هذه الشخصيات. تظهر في قولها:

[1]– نفسه، ص 18.

يونيسا:

أنا العرافة يونيسا سيدة المجهول

إرحل يا طفل الناي ... يا عاشقنا المقتول

إرحل يا طفل الناي ... يا عاشقنا المقتول

إرحل ودع الأشياء تنام كما شاءت

وارقص بين خرافك في الأحراش.[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات يونيسا تطلب من غيلاس الراعي الرحيل لأنها أخبرته بقدوم أنزار وفي حين بأن يدع الأشياء كما هي كانت لأنها عرافة سيدة المجهول تتنبأ لما سيحدث في المستقبل في قولها:

لا تبحث عن نجمتك المذبوحة

لا تسأل يونيسا وارحل

أنزار سيأتي [2]

عرافة يونيسا تنبأ غيلاس بقدوم أنزار وتنهي غيلاس بعدم إظهار لطاسيليا لأنها ستعيش في الأبراج ومن خلال الحوار الذي جرى بين هذه الشخصيات يبدوا لنا يونيسا العرافة تمقت غيلاس نظرا لحبه لطاسيليا لكن بالرغم من ذلك تغير رأيها وتطلب من أنزار أن يعود طاسيليا إلى أرض نوميديا.

[1]–الديوان، ص 9

[2]– الديوان، نفسه، ص 7

من خلال هذه الأبيات نلمس الصراع الذي جرى بين أنزار وغيلاس وتنافسهما على حب طاسيليا والإستئثار بها حيث نجد أنزار يهدد أهل نوميديا وخاصة غيلاس وطاسيليا يمنع الأمطار من أرض نوميديا ويصيبها الجفاف والقحطان وبعد ذلك بحصل أنزار على طاسيليا ويأخذها معه إلى البرج السابع.

أصوات النساء:

يا أنزار

يا أنزار

يا أنزار

اطف ... اطف ... اطف هذا النار

يا أنزار

قطرة ماء ... تطفئ النار.[1]

من خلال هذه الأبيات يظهر نسوة نوميديا بالنداء لأنزار ويطلبن منه الماء بعدما أصيبت أرض نوميديا بالقحطان والجفاف.

صوت جماعي:

يا أنزار

[1]–الديوان، ص 49.

اطف اطف هذي النار

يا أنزار

من ماء تروي الأقمار.[1]

ويتوسلن للمرة الثانية من أنزار أن يقوم بإطفاء النار، ويظهر لنا أنزار رمزي قوي أسطوري إذ يعتبر الإله المتحكم في الماء والمطر والرياح ويملك القدرة على عقاب مملكو نوميديا وأهلها بحبس المطر كما يعتبر أيضا منافسا قويا لغيلاس.

من خلال دراستنا لشخصية أنزار تبدوا نوعا ما شخصية شريرة وهذا يعود إلى المعاناة التي ألحقها بغيلاس وطاسيليا، ولكن في نفس الوقت نجد هذه الشخصية تحمل مشاعر إنسانية والدليل على ذلك أنه ندم وأعاد طاسيليا لحريتها.

كما يقول أيضا: من هذا الضوء يجيء

نوميديا ابتهجي

أنزار سيأتي

والدليل يضيء.[2]

قم تحدث المواجهة بينه وبين غيلاس وهنا أنزار يهدد غيلاس ونوميديا ويؤكد رغبته وحبه لطاسيليا وأنها لها وملكه، وكمثال من كلامه من التهديد.

[1]- المصدر نفسه، ص 90

[2]- الديوان، ص 23

يا طفل نوميديا

إرحل عن أرض تعرف مائي ...

الأرض سماتي

والطفلة لن تسمع صوت الناي

الصوت إلا وحد

اسمي.[1]

كما يهدد بالموت المحقق لاعتقاده بأنه هو فقط من يمتلك الحياة بالماء ولكن سيغير رأيه في آخر المطاف ويصبح إنسانيا يعني ذو قيم إنسانية ويطلق سراح طاسيليا يقول في تهديده حول موت نوميديا.

موت أنزار:

كن ماشئت

فإن الطفلة لي

كن عاشقها إن شئت

وكن من ينثر عطر نوميديا في الساحات

أنا سيد ماء الحكمة

[1]– المصدر نفسه، ص24

سيموت الناس وتصبح نوميديا رمادًا

وأنا أضحك منك ومنها

لا تقرب عرش الماء

فإنك ميت.[1]

طاسيليا:

كوني العطر

طاسليا:

أكون كما تبغين ولكن لا ألمح سر اللحظة

غيلاس العاشق في العينين وفي الشفتين

وفي كلمات الصحو

سيليا:

غيلاس عنيد

تتضمن هذه الأبيات إجابة طاسيليا لماسيليا بأنها ليست العصفورة وليست العاشقة.[1] ولكن ما يميز طاسيليا أنها ليست كنساء نوميديا تعشق الرجل المحارب فقط وإنما عشقت غيلاس كما هو رصيت به، لأنه كان غازفا للناي وذلك في قولها:

[1]– الديوان، ص 25.

لكني أعشق صوت الناي.[2]

وفحوى الحوار أن يونيسا وبقية الفتيات يمجدن أنزار ويمقتن غيلاس لأنه سيسبب الوجع والموت لطاسيليا ولكل نوميديا ويظهر ذلك في قول نوميديا:

يونيسا:

طاسيليا يا نبتتنا الممهورة بالوجع المنسي.

لا تنتظري غيلاس فإن له في آخر هذه الأرض

حروبا ومأثم.[3]

بعد ذلك نلمس إختبار يونيسا بقدوم أنزار ... والرحيل عن طاسيليا ويظهر ذلك في قول يونيسا:

أنزار سيأتي

وسيرحل في عينيك بعيدا

ويعود مع الغيمات

بالإضافة إلى ذلك تصرح طاسيليا بعشقها لغيلاس حينما تأتي يونيسا ويتضح في هذه الأبيات التالية:

طاسيليا

[1]- الديوان، ص 13.

[2]- المصدر نفسه، ص 14

[3]- نفسه، ص 15

لكني أسأل عن غيلاس [1]

أنزار:

فلترحل يونيسا للموت إن شاءت

طاسيليا يا كل نساء الأرض

أعطيتك سر الحكمة

هذا الماء عناؤك في الأنهار

يا غاشقة من نبع العشق أتت

وأنا الأمطار.[2]

ثم يقسو كذلك على طاسيليا بأن يبعدها إلى البرج على بعيد على أهلها وصوت الناي ويرفض طلبها بحجة أنها له ولن يصل إليها أحد.

أنزار:

قولي ما شئت

فإنك لي

لن يبلغ هذا البرج سواي

الماء يداي

[1]– الديوان، ص 15.

[2]– نفسه، ص 48

قولي ماشئت

فإنك لي

وله إن شاء حديث الناي.[1]

ولكن ما يلاحظ من خلال قول أنزار في ص 60 رغم أنه أمطر نوميديا بالمطر إلا أنها بدأت تحترق لأنها حزنت على فراق طاسيليا ولهذا فهو يتعجب كيف أنها بدأت تموت فيقول:

با ماء الإله المكبوت

نوميديا إحترقت بالماء

فكيف تموت.[2]

ثم يتساءل متعجبا من كونها لم تمت مما يدل على حزنها قائلا: فلماذا تحزن نوميديا وتمون؟ في البداية يصف نفسه بمهنته في قوله: أنا غيلاس الراعي ثم في نهاية قوله يصف نفسه بهوايته وكذلك بهويته المنسوبة إلى نوميديا زبين هذين بصفاته العاشقة لطاسيليا ويتحلى هذا في الابيات التالية:

يا قمري هل تسمع صوتا يطلع من أحراش نوميديا.[3]

ثم تتحدث العرافة عن غيلاس فتصفه بالجنون

يونيسا:

---

[1]- الديوان، ص 54

[2]- المصدر نفسه، ص 54

[3]- الديوان، ص 6

مجنون أنت ... أنا غيلاس

لا تسأل قمرا عن عاشقة في السر

لا تقطف وردتك البيضاء بتلك

إن العطر يموت

لا ترقص وحدك إن الشمس تغار.

كما يظهر لنا من خلال هذه الأبيات تنهي يونيسا عن العشق بسؤال القمر والرقص ثم العطر كل ذلك لأن هناك أنزار العاشق كذلك لطاسيليا فتقول له العرافة:

يونيسا:

لا تسأل يونيسا وارحل

أنزار سيأتي.[1]

ولذلك لا سبيل لغيلاس في نظر يونيسا سوى الرحيل والاستسلام والابتعاد عن طاسيليا.

غيلاس:

فليأت

وسيرحل مثلي حيث ترى التابوت يسير إليك

[1]– الديوان، ص 6

وأنا لا أملك غير الناي

يا ناي الحب

قل ما شئت فلست المذنب

لست سوى عاشق

أنزار يحب الموت

من خلال قول طاسيليا يتضح لنا أن غيلاس الراعي العاشق المحارب أليف الناي والغناءيقول غيلاس في حديثه عن الناي الذي يملكه.

أنا لا أملك غير الناي

يا ناي الحب

قل ماشئت فلست المنذب لست القاتل

لست سوى عاشق.[1]

غيلاس يؤكد أنه محب للحرب بحيث يتحدث عن حروبه التي خاشها دفاعا عن نوميديا كما يؤكد أيضا أن هناك جربا أخرى سيخوضها ضد أنزار ولكن هذه المرة دفاعاعن حبه لطاسيلياعكس الأولى.

غيلاس يناجي الموت:

[1]–الديوان، ص 8

أعيتك جرائق هذه الأرض

وأتعبك الآتون بلادي

الأرض هي المعنى

والماء بكاء الطير

وطاسيليا قربان الوطن العطشان

يا أنزار

هل في وطن الغربان أمان.[1]وفي هذا الحوار يصرح غيلاس بحبه لطاسيليا وفيها تحدي لأنزار ويستنكر حب أنزار لطاسيلسا وأنه ليس من جقه أن يحبها.

غيلاس:

سيصير الماء رمادا

وتصير نوميديا أعظم من عرشك يا أنزار

والناي يغني للأموات

فلماذا تهرب يا أنزار من التابوت؟

الليل يفوت

والعاشقة الأبدية ترقص كل صباح

[1]– المصدر نفسه، ص 24

فلماذا يا أنزار تخاف الشمس؟[1]

من خلال هذا الحوار الذي يدور بين نوميديا وغيلاس يظهر لنا غيلاس شخصية عنيدة تحب التحدي فالعرافة تصر على رحيله خوفا عليه من بطش أنوار وأنه سيقتله إذا لم يرحل وغيلاس مُصّر على رأيه في البقاء وحب طاسيليا.

يونيسا:

ارحل يا غيلاس

ارحل ... فأنا أعرف أنك نبتة نوميديا المسكونة

بالفرح المقتول

غيلاس:

لن أرحل يا نوميديا

ولتقرأ كفك ما شاءت

النبتة تحمل دفئ الأرض

والأرض أنا

وأنا فرح الأطفال وتلك النسوة

لن أرجل قبل مجيئ الشمس.[1]

[1]– الديوان، ص 26

في هذا الحوار يظهر قيمة التحدي والتهديد بالنسبة لغيلاس والتهديد بالنسبة لأنزار فغيلاس يتحدى ويبقى مصرا على حبه لطاسيليا,

سيليا:

غيلاس عنيد مثل نوميديا

وتجيبها أخرى أنه يحب الحروب

توجيا:

ويحب الحرب.

ماسيليا:

وهل في أرض نوميديا من ليس له رمح

وحصان بري ودم من نار[2]

طاسيليا:

ولكن أعشق صوت الناي.[3]

غيلاس:

[1]– الديوان، ص 9.

[2]– الديوان، ص 6

[3]–المصدر نفسه، ص 6

يعتب غيلاس ثاني شخصية مساهمة في الأسطورة وذلك بصفته عاشقا لطاسيليا وهو شخصية من أهالي نوميديا ومن الطبقة البسيطة ومؤشر ذلك أنه من رعاة الغنم هذا بمهمته أما هوايته فهي عزف الناي. يظهر ذكر غيلاس في بداية الأسطورة في ثاني حوار بعد الراهب وهو يكلم نوميديا وكذلك القمر ويتضح ذلك في الأبيات التالية:

غيلاس:

يا قمري السهران

هب تسمع صوتي؟

أنا غيلاس الراعي

أعرف أنك تلمحني وتشيح بوجهك عني

كي تلمح عاشقة من نار.[1]

يبدوا لنا من خلال هذه الأبيات أن غيلاس عاشق لدرجة أنه يتحدث للقمر لأن سوى العشاق هم الذين يكلمون القمر والطبيعة.

ياقمري السهران

لو كنت ضياء الأرض لصرت رداء للعشاق

لو كنت شموسا تطلع من عينين لصرت حديث العرافات

لو كنت نبيا لزرعت الفرحة في لغتي ورحت إلى طاسيليا أسألها

[1]– نفسه، ص 80

كالتائه عن وطن العشاق.

يواصل غيلاس حديثه مع القمر ويظهر أنه عاشق وتائه، يوصف غيلاس بكونه حزينا وهذا الحزن جعله لا يصدر صوتا من الناي ولهذا وصفت الناي بأنه فقد الصوت.

يونيسا:

يا أنزار

الطفلة تعشق غيلاس

وأنت تقطر ماءك مبتهجا بالدر

أبصرت سماؤك هاربة نحو نوميديا

لم تسأل أحد

ورأيت الفحم.[1]

نجد أن هذه الأبيات تتحدث عن تغيير حالة طاسيليا وكيف أصبحت ترقص حين سمعت أغاني أنزار بدلا من البكاء والحزن في قوله: كنت تغني كي ترقص طاسيليا ليواصل الراهب كلامه ومن حيث انتهت العرافة لكي يسأل أنزار لماذا ترقص طاسيليا لأن الراهب ينقد نظرة أنزار بأن الرقص هو علامة الفرح وبوضح له بأن الرقص كذلك هو علامة الحزن وبهذا فإن طاسيليا حتى مع أنها حزينة فإنها ترقص هذا ما يقوله الراهب:

لن تعرف شيئا يا أنزار

العاشق يعرف شكل الحزن وطعم النار.[1]

[1]– الديوان، ص 80.

طاسيليا:

يا ملك الماء لك النجمات وللعشاق حدائقهم

ولغيلاس الناي ودمعته البيضاء

ولنا ما تختزن الأضلاع من الأشياء

فلندرج

مثل عصافير الأنين من المجهول.[2]

في هذه الأبيات عبرت طاسيليا عن فرحتها الشديدة إلى درجة أنها شبهت هذه الفرحة كالعصفورة اللآتية من المجهول ومن هنا يمكننا القول أن شخصية طاسيليا عانت كثيرا وضحت من أحل الحفاظ على غيلاس الذي لا يملك غير الناي. كما يظهر حوار بين غيلاس وأنزار حين يلتقي أنزار بطاسيليا والراهب والنسوة بالرعود والصواعق ويتمثل ذلك في:

صوت أنزار

أنزار سيأتي

من هذا الضوء يجيئ

نوميديا إبتهجي

أنزار سيأتي

---

[1]– الديوان ص 80

[2]– المصدر نفسه، ص 89

والليل يضيئ

طاسيليا:

أين هو

لألمح شيئا غير ضياء البحر

الزرقة تملأني

لا ألمح غير الماء يحاصرني

يا صوت الناي الهارب مني

نوميديا تصمت حين أصيح

فمتى تأتي

ومتى تخرج الريح.[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن طاسيليا يملكها شعور الخوف خاصة بعد أن صرحها بحبه لها.

في أعلى الساحة ملامح أنزار وطاسيليا

يونيسا:

طاسيليا تبحث عن بوابة نوميديا

[1]– الديوان، ص 23

وتشم عبير العاشق في الغيمات

تقرأ في عيني أنزار المرت فتسأله.[1]

طاسيلبا يأخذها أنزار عنده في برج عالي لكي تخبر أن طاسيليا مازالت مشتاقة لغيلاس

تقول نوميديا:

طاسيليا تبحث عن بوابة نوميديا

وتشم عن بر العاشق الولهان في الغيمات

تقرأ في عين أنزار الموت فتسأله

طاسيليا:

هل مات؟

ليجيبها أنزار بأنه مر غيلاس بحاجة ولم تراه

فيقول أنزار:

أنزار:

أبدا

العاشق كان قوي منك وفات

وجناحا من الزيتون.[1]

[1]– المصدر نفسه، ص 76

وتسأل طاسيليا أيضا من شدة شوقها إن كان غيلاس وحده

وتقول طاسيليا هل كان وحيدا؟

وهذا فيه معنى ضمني أن طاسيليا لم تشتاق إلى غيلاس وحده وإنما إشتاقت إلى كل أهالي نوميديا ثم بعد ذلك تبكي بكاءً شديدا وهذا ما قالته العرافة واصفة حالة طاسيليا بين الشوق والبكاء ويظهر أكثر في هذه الأبيات التالية:

يونيسا:

تبكي طاسيليا

غيلاس ينام على عتبات الموت

كم كان حزينا

يا ناي العاشق ضاع الصوت؟[2]

في مقولة العرافة تصف حالة طاسيليا من خلال مقارنتها بحالة غيلاس

ثم تأتي الحادثة التالية حين يجتمع الناس مع الراهب ومعه الناس لكي يضغطوا على طاسيليا لكي تتزوج أنزار لأن أنزار لم يأت وقد أنزل العذاب وأمسك عليهم الماء في حين تبين طاسيليا رفضها لأنزار بقولها:

طاسيليا تحري في المكان كالمجنونة

لن يأخذني أنزار

نوميديا تعرف قلبي فلماذا تصمت حين أصيح؟

[1]– الديوان، ص 76

[2]– المصدر نفسه، ص 79

غيلاس سيأتي مثل الريح

طاسيليا: من قال الحب سيغني

الحب سليل الفرحة في العينين ...[1]

من خلا هذه الأبيات يظهر أنزار ويطلب من طاسيليا الزواج لكنها ترفض لأنها تعشق غيلاس ويتحلى ذلك في هذه الأبيات .

لن يأخذني أنزار

نوميديا تعرف قلبي فلماذا تصمت حين أصيح؟

غيلاس سيأتي مثل الريح.[2]

الخوف يمتلك طاسيليا من قدوم أنزار لأن ساعده سيحاصرها ولا تحد صوت الناي حين تريده.

طاسيليا:

أين هو

لا ألمح شيئا غير ضياء البحر

الزرقة تتلاشى

لا ألمح غير الماء يحاصرني

[1]– الديوان، ص 22

[2]– المصدر نفسه، ص 22

يا صوت الناي الهارب من

نوميديا تصمت حين أصيح.[1]

من خلا هذه الأبيات يظهر لنا أن طاسيليا تائهة بقدوم أنزار بعد أن أعلن حبه لها بكنها تستمر في الرفض ويعود ذلك أن أنزار هو السبب الوحيد لجفاف نوميديا.

يجري التحدث عن طاسيليا وبالضبط في إحتكاكها بأنزار ومع أهل نوميديا الراهب، العرافة والنساء وصديقاتها حين تخاطب شعب نوميديا.

طاسيليا:

يا أهل نوميديا ... الأرض تنام كطفل مسكون بالخوف

وهذا العمر يفوت.[2]

ويتدخل أنزار في قوله أحبك يا طاسيليا.[3] وهنا تصريح لشعب نوميديا ولطاسيليا وهذه نقطة تحول في الأحداث التي توحي بتغيير الأمور وأساليب طاسيليا لي.

طاسيليا:

ما سر الحكمة يا أنزار

هذا العرش بقايا الغيم

من نبع العشق أتيت

---

[1]- الديوان، ص 23

[2]- الديوان ص28

[3]- المصدر نفسه، ص 29

وصوت الناي غنائي

في نهر نوميديا كنت أرقص أرتان وديهيا

وخلف التلة ناي العشق يتبعنا

يشعل ما في القلب من الأشواق.[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات الحياة الروتينية لنسوة نوميديا حيث يحملن كذلك كل فجر جرار الماء ويذهبن إلى النهر وخلف التلة يغني لهن أجمل الأغاني وأعذب الألحان بعزفه على الناي الذي يشعل القلب بالأشواق والمشاكل الصادقة والصافية المليئة بالحب الصافي.

[1]– نفسه، ص 57

خاتمة

خاتمة:

بعد دراسة موضوع توظيف الرمز والأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر توصلنا إلى أن هذا التوظيف لدى الشعراء المعاصرين لم يكن مجرد تسلية أدبية بل كان نتيجة إطلاع الشعراء الجزائريين على الإنتاجات الشعرية في المشرق العربي، ولأن الرمز والأسطورة تمثل مصدرا هاما للأفكار الخيالية والشكل الجمالي الأنيق.

كما إستنتجنا أيضا أن الرمز والأسطورة ترتبطان ارتباطا وثيقا بمصير الإنسان وتفسير الكون وأسماء الأماكن المقدسة والأفراد البارزين، والأسطورة الشعرية التي بين أيدينا لشاعرنا عز الدين ميهوبي تجسد ذلك، بالإضافة أنها تمثل أحلام شعبه بالحرية والخصب والنماء.

وما نلاحظه في الشعر الجزائري المعاصر نزعة متنامية لاستخدام الرموز الأسطورية ويعتبر الشاعر عز الدين من بين الشعراء الذين وظفوا الرمز والأسطورة في شعره في ديوان له عنوانه "طاسيليا". استمد عز الدين ميهوبي عناوينه وأسماؤه وأبطاله من الأساطير القديمة.

وفق الشاعر عز دين ميهوبي في توظيف الرمز والأسطورة إلى حد ما، ويظهر ذلك في اختياره لأسماء الشخصيات التي يعود أصلها للأمازيغ مثل غيلاس الذي يعني الشبل "إزم"، ديهيا هو الاسم الأصلي للمحاربة الأمازيغية التي لقبت بها الكاهنة، أما شخصية أنزار فهو معروف عند القبائل لحد الآن عند انقطاع المطر.

كما نجد أيضا أن الرمز والأسطورة حضيا باهتمام كبير من قبل الشعراء الجزائريين المعاصرين باعتباره أحد الوسائط التي يلجأ إليها الشاعر للتعبير عما يختلج في نفسه.

خاتمة

نستنتج كذلك أن الشاعر يوظف أحداث ليست موجودة في الأسطورة الأصلية وما يلفت إنتباهنا هو أن الشاعر تمكن من التنسيق والربط بين أحداثًا الجديدة والأصلية.

وفي الأخير يمكننا القول أن الشاعر كان هدفه من خلال هذا الديوان هو إحياء التراث الجزائري القديم وإعادة بعث الأسطورة القديمة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1 -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

2 -عز الدين ميهوبي، طاسيليا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007.

ب/ المراجع:

1 -إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، دار المشرق، عمان، ط1، 1996.

2 -أحمد اسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995.

3 -أمينة بلعلى، الرمز الديني عند الرواد الشعر العربي الحديث (السياب، عبد الصبور خليل داوي أدونيس)، جامعة الجزائر، 1989.

4 -درويش الجني، الرمزية في الالأدب العربي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة.

5 -رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، القاهرة، 1985.

6 -رينيه وليك، أوسن وارن، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبيح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

7 -السعدني بركاتي، الرمز التاريخي ودلالته لشعر عز الدين ميهوبي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، فرع: الأدب الجزائري الحديث قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر، 2008-2009.

8 -سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية للنشر والطباعة والتوزيع، 2005.

9 -سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية، 2001.

10-سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث، دار سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1993.

11 صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981.

12 صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، دراسات في الأدب الجزائري، مطبوعات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر.

13 عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر، إشراف عبد الله حمادي، جامعة الجزائر.

14 عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

15 عبد المالك مورتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشريين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

16 عثمان حشلاف، الرمز والدلالة، الشعر العربي المعاصر، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000.

17 عزت محمد جاد، نظرية المصرح النقدي، مطابع الهيئة المصرية العاملة للكتاب، 2002.

18 فاروق خو رشيد، أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

19 فراس أسواح، مغامرات العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سوريا وبلاد الرافدين، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط1، 1980، ط2، 1981.

20 محمد أبو زيد، الرمز والأسطورة في البناء الأسطوري، 1985.

21 محمد ديب شعبو، نقد الفكر الأسطوري والرمز، أساطير ورموز وفلكلور في الفكر الإنساني.

22 محمد على كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك الملائكة والبياتي)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت،ط1، 2003.

23 محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت،ط1، 1982.

24 محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية الأصول والتجليات، دار غريب، القاهرة، 2007.

25 محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1984.

26 مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، مصر، 1987.

27 مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للنشر والتوزيع.

28 موهوب مصطفاوي، الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

29 ميخائيل مسعود، أساطير ومعتقدات دينية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، 1994.

30 نصيب نستاوي، مدخل إلأى الدراسات المدارس الأدبية، الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

31 نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية الوطنية، مصطفى بوحيرد، الجزائر، ط1، 2003.

32 هنري بيير، الأدب الرمزي، بيروت، 1681.

الفهرس

فهرس الموضوعات:

شكر

مقدمة.....أ

الفصل الأول: الرمز ودلالته في ديوان طاسيليا.....5

1-مفهوم الرمز لغة.....5

2- مفهوم الرمز اصطلاحا 6

3-نشأة الرمز في الشعر الغربي.....07

4-نشأة الرمز في الشعر العربي.....09

5-أنواع الرموز ودلالتها في الديوان.....13

الفصل الثاني: الأسطورة ودلالتها في ديوان طاسيليا.....43

1 مفهوم الأسطورة.....43

أ/ لغة.....43

ب/ إصطلاحا.....45

2 نشأة الأسطورة وطبيعتها.....47

أ/ المدرسة التاريخية.....48

ب/ المدرسة الأنتروبولوجية.....49

ج/ المدرسة النفسية.....50

الملاحق

1-ملخص الأسطورة.....89

2-التعريف بالكاتب 90

خاتمة.....92

قائمة المصادر والمراجع.....95

ملحق

الملخص:

طاسيليا رائعة شعرية، أجاد بها الشاعر عز الدين ميهوبي أبطالها مستمدون من الميتالوجيا الأمازيغية التي تأرث بدون شك بالإرث الحضاري لميتولوجيات، حضارات الحوض المتوسط تتكون شخصياتها من البشر والآلهة تحكمها علاقة حب وكره ونضال وتضحية وصراع البقاء ترسم كلماتها إطارها الزماني والمكاني الغير واضحة المعالم، فهي تدور أحداثها في ارض الأمازيغ ومنطقة الأوراس تحديدا وفي المملكة النوميدية، ويسافر بنا ميهوبي إلى عالم يتكلم فيه الجماد وتتجسد الآلهة لتتصارع مع الإنسان.

وشخصياتها الراهب المنشد الذي إفتتح المشهد، طاسيليا المعشوقة التي يتجلى جمالها في كل عناصر الطبيعة الجميلة.

غيلاس: الفتى الراعي الفقير الذي لا يملك غير الناي والحب الكبير لطاسيليا.

يونيسا: السيدة العرافة التي تتنبأ بخطر قدوم أنزار إله المطر.

أنزار: الإله المتحكم في الماء، المطر والرياح، ويملك القدرة على عقاب مملكة نوميديا، وأهلها بحبس المطر، كما يعتبر منافسا قويا لغيلاس الراعي الفقير.

طاسيليا: الفتاة الفاتنة كما تصفها الأسطورة لدرجة أن الآلهة الساكنة في السماء تخلت عن كبريائها وقررت أن تنزل لتتزوج من عالم البشر السفلي والذي قرر حبسها في الأبراج المائية حتى تقبل بزواجه.

وطاسيليا: التي ضحت بحبها لغيلاس وضحت بنفسها وقدمت جسدها قربانا لأله المطر ليرضى عليها وينقذ مملكتها من الجفاف.

نوميديا: هي الجزائر قديما والأوراس حاليا.

عز الدين ميهوبي:

شاعر جزائري معاصر، ووجه من وجوه الحركة الشعرية الجديدة في الجزائر، برز عن الساحة الأدبية في بداية السبعينات، وتألق شعره في الثمانينات ويعد من بين الشعراء الجزائريين الذين إنصرفوا إلى كتابة القصيدة الشعرية على النسق المعاصر في إطار الإستفادة من جماليات الكتابة الدرامية في القصة والمسرحية[1].

أعماله ومؤلفاته:

في البدء كان أورا عام 1985م، النخلة والمحذاف حيزية شيء كالشعر، كانيغولا، عولمة النور، الأشوري المنتظر، الروباعيات ، الشمس والجلاد، أسفار الملائكة، المعنى والغفران[2].

أسلوبه في كتابة الشعر:

عرف عز الدين ميهوبي بغزارة كتابة شعره والدليل على دلك نشره خمسة دواوين جملة واحدة.

إن شعره يحتاج إلى قراءة متأنية معمقة، هو ينحنى منحنى الكتابة الشعرية القائمة على جماليت الإيقاع وأناقة الديباجة النسيجية وإنتقاء المفردة الشعرية الشفافة[3].

[1] الربعي بن سلامة، عمار ويس، محمد العيد تاورتة، عزيز العكيشة، موسوعة الشعر الجزائري، ج1، شركة الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ط1، 2002، ص 904.

[2] صالح مفقودة، نصوص وأسئلة دراسات في الأدب الجزائري، مطبوعات إتحاد الكتاب الجزائر، ص 98.

[3] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة الطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007. ص 581.